الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور –خنشلة–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب حديث ومعاصر

أدب المقاومة في رواية قداس الكاردينال لسليم بتقة

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

إعداد الطالبة:

- لامية حفيان

إشراف الدكتور:

- عبد الحميد ختالة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
إيمان ملال	أستاذ التعليم العالي	عباس لغرور خنشلة-	رئيسا
عبد الحميد ختالة	أستاذ محاضر-أ-	عباس لغرور خنشلة-	مشرفا ومقررا
حنان شرفي	أستاذ محاضر	عباس لغرور خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2025-2026

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله الذي علمني وأعانني

والحمد لله الذي يسر لي أمري والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونحن على ذلك من الشاهدين.

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والاحترام والامتنان إلى أستاذي الدكتور " عبد الحميد ختالة " الذي شرفني بتأطير هذا البحث المتواضع منذ تشكل فكرة إلى أن تم على صورته هذه.

شكرا للجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا البحث، كما أتوجه بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات جامعة عباس لغرور خنشلة الذين كان لهم كل الفضل في إثراء رصيدنا المعرفي.

فلكم منا فائق الاحترام والتقدير

وأرجوا من الله التوفيق و السداد.

إهداء

إلى والدي العزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، إلى والدتي حفظها الله ورعاها التي كانت سندي ودعائي الدائم، والتي غرست فيَّ حبَّ العلم والاجتهاد، أطال الله عمرها وحفظها.

إلى صديقتي العزيزة، التي كانت خير داعمة ومساندة لي طوال مشواري، فله مني كل الشكر والتقدير.

إلى إخوتي وأخواتي، الذين شاركوني لحظات التعب والفرح، وكانوا دائمًا مصدر قوة ومحبة.

إلى كل أفراد عائلتي الكريمة، الذين أحاطوني بالمحبة والتشجيع والدعاء.

أهديكم ثمرة هذا الجهد المتواضع، راجيةً من الله أن يوفقني وإياكم لما فيه الخير والنجاح.

مـــــقدمة

مقدمة:

يعد الأدب مرآة عاكسة لمختلف التحولات الاجتماعية والسياسية، إذ لا ينفصل عن سياقاته المنتجة، إذ لا ينفصل عن سياقاته المنتجة للغة والناتجة عنه، فهو يتفاعل معها تعبيرًا وتأثيرًا. ومن هذا المنطلق برزت الكتابة السردية بوصفها فضاءً خصبًا لتجسيد معاناة الإنسان، والكشف عن صراعاته في مواجهة مختلف أشكال الهيمنة والاضطهاد. وقد اتخذ هذا التفاعل أبعادًا أكثر عمقًا في المجتمعات التي عرفت تجارب استعمارية، حيث تحول الأدب إلى وسيلة للتعبير عن الرفض واستحضار الذاكرة وكشف الممارسات القمعية.

وفي هذا السياق، يتجلى أدب المقاومة بوصفه أحد أبرز الأشكال التعبيرية التي واكبت الاستعمار خاصة في الجزائر، حيث أسهم في نقل معاناة الشعب الجزائري، وفضح سياسة الاستعمار، مع السعي إلى ترسيخ الوعي. ومن بين الأعمال التي جسدت هذا التوجه، تبرز رواية **قداس الكاردينال للروائي الجزائري سليم بتقة**، هذه الرواية التي اشتغلت على إعادة تمثيل الواقع الاستعماري، ومن أجل رصد ما سبق ذكره في الرواية جاء عنوان الدراسة على الشكل التالي: "**أدب المقاومة في رواية قداس الكاردينال لسليم بتقة أنموذجا**".

ومن أجل الإحاطة بالموضوع جاءت إشكالية كما يلي:

- إلى أي مدى استطاعت رواية قداس الكاردينال تمثيل أدب المقاومة وكشف سياسة القمع الاستعمارية؟

وقد تفرعت هذه الإشكالية إلى عدة أسئلة أبرزها:

- ما معنى أدب المقاومة؟ وماهي الرواية المقاومة؟
- ماهي سمات أدب المقاومة؟
- ما هي مظاهر حضور أدب المقاومة في لمدونة؟

ولم يكن اختيار الموضوع اعتباطيًا، وإنما كان نتيجة لجملة من الدوافع الذاتية والموضوعية.

تتمثل الدوافع الذاتية في الميول إلى دراسة الأدب المرتبط بالقضايا الوطنية، والرغبة في التعمق في روايات سليم بتقة، أما الدوافع الموضوعية فتتمثل في أهمية أدب المقاومة في الحقل النقدي، إضافة إلى ما تزخر به الرواية من أبعاد سردية وتاريخية تجعلها مجالا خصبًا للدراسة والتحليل.

ولتنظيم الدراسة سار البحث وفق خطة شملت مقدمة من العام إلى الخاص ثم فصلين الأول نظري تناول مفاهيم أدب المقاومة وجذوره وسماته، والفصل الثاني كان بمثابة التطبيق على رواية قداس كاردينال لسليم بتقة، ثم خاتمة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها.

وقد اعتمدت الدراسة على الموضوعاتي في الجانب التطبيقي وذلك لدراسة تيمة المقاومة وكيف تجلت في الرواية، مع آليتي الوصف والتحليل.

ولإعطاء البحث أمانة علمية، تم الرجوع إلى عدة مراجع ومصادر أهمها:

- كتاب عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر.
- كتاب صالح أبو أصبع: ثقافة المقاومة في الآداب والفنون.
- رواية قداس كاردينال لسليم بتقة.

بالنسبة للصعوبات لم تواجه الدراسة أي عراقيل نظرًا لتوفر المادة العلمية في هذا الموضوع.

وفي ختام هذا العمل، أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور المشرف **عبد الحميد ختالة** على توجيهاته ونصائحه القيمة، وإلى أعضاء لجنة المناقشة على جهدهم وقراءتهم للمذكرة، كما أتقدم بجزيل الشكر لقسم اللغة والأدب العربي وكلية الآداب واللغات بجامعة عباس لغرور خنشلة على أن فتحت لي مجالا معرفيا يبقى يشكل محطة مهمة في سيرة حياتي.

الفصل الأول:

أدب المقاومة: مفاهيم ومصطلحات

تمهيد:

يعتبر أدب المقاومة من أهم الآداب التي لاقت رواجًا في كل أمة وفي جل الدراسات والإبداعات الأدبية، باعتبار أن هذه الأمم كانت تحت وطأة الاستعمار والظلم والاستعباد مما دفع بها وبمشاعرها إلى النهوض ومواكبة العصر في التمرد والانقلاب على مختلف الاضطهادات وأساليب القمع والتمرد، وبالتالي فإن هذا الأدب الفني الإبداعي هو عبارة عن نتاج فكري من خلاله يدافع الأديب عن أمته والالتزام بقضية نبيلة فيحاول البحث عن الأسباب التي ولدت هذا الظلم والدعوة إلى الثورة مع الكشف وتوثيق مختلف أنواع الاستبداد التي تعرض لها الانسان. وعليه ففي هذا الفصل سنتطرق إلى طرح جملة من العناوين من خلال التطرق في مفهوم أدب المقاومة والجذور التاريخية لأدب المقاومة ثم مختلف السمات والخصائص لأدب المقاومة وأخيرا ثنائية الأدب المقاوم والفعل المقاوم.

1- مفهوم أدب المقاومة:

1-1 مفهوم المقاومة:

لغة:

ذُكر مصطلح المقاومة في العديد من المعاجم والقواميس إذ نجد في لسان العرب لابن منظور مادة (ق و م) كالتالي:" والقوم: القصد قال رؤية: واتخذ الشد لهن قوما، وقاومه في المصارعة وغيرها وتقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لبعض.

وقوام الأمر بالكسر: نظامه وعماده، أبو عبيدة: هو قوام أهل بيته وهو الذي يقيم شأنهم" (ابن منظور، دس)

وجاء في معجم الوسيط مادة قوم بـ " قام قوما وقياما: وقوّمه: انتصب واقفا والأمر: اعتدل ويقال: قام ميزان النهار، وانتصب وقام قائم الظهيرة، حان وقت الزوال، والماء ثبت متجبرًا لا

يجد منفذا وعلى الأمر، دام وثبت وللأمر: تولاه وعلى أهله، تولى أمرهم وقام: تحددت قيمته، ويقال: قام يفعل كذا: أخذ في عمله" (مصطفى و الزيات، 2011م، الصفحات 925-926)

يظهر من خلال ما ذُكر سابقًا أن مفهوم المقاومة له معاني لغوية عديدة اتخذت فاهيم عديدة منها الدفع والمنع والصمود والمواجهة والتحدي.

اصطلاحًا:

يعد مفهوم المقاومة من المفاهيم الإنسانية التي تبرز وعي الانسان بحقوقه وسعيه الدائم إلى حماية كرامته وهويته وأرضه، وقد ارتبط مفهوم المقاومة بمختلف المجتمعات التي تعرضت للاستعمار ولمختلف أساليب القمع والعنف والهيمنة القسرية والتعسفية، فتجلت في صور متعددة لم تقتصر على المواجهة العسكرية فقط بل تجاوز إلى مجالات متباينة منها الثقافية والأدبية.

فتعرف المقاومة بأنها " ليست شهوة في العنف والقتل والاعتداء على الآخر وإنما هي دفع الأذى والقبح والشر والفساد والاحتلال على الذات الإنسانية ومقارعته بكل السبل المتاحة، ومن ثم في مواجهة منظمة واعية لكل أشكال القهر والظلم والاستعمار والغزو بكل صوره المباشرة وغير المباشرة" (جمعة، 2009م، صفحة 16)، وعليه نفهم أن المقاومة هي فعل أساسي وردة فعل يقوم لإخراج المستعمر وطرده بمختلف الأساليب سواء كانت عسكرية أم باستخدام القلم وذلك لإيصال صوتهم من أجل نيل الحرية والاستقلال ولاستعادة مكانتهم وأرضهم المغتصبة والمسلوبة.

كذلك تعرف المقاومة على أنها " منظومة متكاملة من وسائل الدفاع إعدادًا واستعدادًا مواجهة وقتالاً بالكلمة والموقف والسلاح... وهذا يعني أن هناك مقاومة ثقافية وقانونية، سياسية وأدبية، اقتصادية وإعلامية وعسكرية... وكل نمط من هذه الأنماط يأخذ موقعه من تعبئة المجتمع ضد الظلم والفساد، والقهر والاستبداد، والاحتلال والاستعمار... فالمقاومة تعبئ

المجتمع فكريا ونفسيًا، وتجعله يستعد لمجابهة مسلحة منظمة وواعية أعظمها خطرًا مجابهة المحتل الغاصب للأرض والوطن، إذ تستدعي تعبئة كل الطاقات الوطنية والقومية" (جمعة، 2009م، صفحة 34)، فهذا التعريف يركز على أن المقاومة هي كفاح الشعوب ضد الفساد والظلم ومواجهة المحتل الغاضب للأرض عن طريق استخدام وسائل الدفاع.

1-2 مفهوم أدب المقاومة:

يُعدُّ أدب المقاومة من أهم الأشكال الفنية التي شملت الشعر والرواية والمسرح والقصة ومختلف الأجناس الأدبية حيث اعتمد الأدباء على توظيف تيمة المقاومة كعنصر رئيسي للتعبير عن معاناة الشعوب في مواجهة الاستعمار والاضطهاد بمختلف صوره، كما أسهم هذا الأدب على وصف الأحداث وتجسيد معاناة الانسان وبث روح الأمل والصمود في الشعوب، وذلك باستخدام لغة أدبية قوية معبرة بأسلوب مباشر واستدعاءه لمختلف الصور الفنية الرمزية.

يعرف **عادل الأسطة** أدب المقاومة بأنه " من الآداب الإنسانية التي تجدها في كل أمة من الأمم نتيجة وقوعها تحت ظلم طويل خانق دفع بمشاعرها وأحاسيسها لرفع هذا الظلم والتمرد عليه والانقلاب على مفاهيم الخضوع له والتعامل معه بوصفه أمرًا واقعًا، وبالتالي فإن هذا الأدب الإنساني يلتزم عادة بقضايا التحرر" (الأسطة، 1429هـ/2008م، صفحة 9)، نستشف من هذا القول إن نتيجة الظلم والعنف الذي تتعرض له الشعوب وُلد أدب إنساني جديد وقد تم تسميته بأدب المقاومة ونجد جل النتاجات الأدبية اتخذت من القضية الفلسطينية ملاذًا أساسيًا للتعبير.

ونجد الروائي الفلسطيني **غسان كنفاني** يقول " أن أدب المقاومة في فلسطين المحتلة قد ربط ربطًا محكما بين المسألة الاجتماعية والمسألة السياسية، واعتبرهما طرفين من صيغة لا بد من تلاحمهما، لتقوم بمهمة المقاومة وقد مضى ذلك الأدب إلى أبعد من هذا، حين أدرك في

وقت مبكر أيضا الترابط العضوي بين قضية مقاومة الاحتلال الصهيوني وبين قضايا التحرر في البلاد العربية وفي العالم، وعلى هذه الجبهات جميعًا بكل تعقيداتها، خاصة أدب المقاومة في فلسطين المحتلة معركة التزاماته" (كنفاني، 1968م، صفحة 45)، بناءً على هذا فإن أدب المقاومة يحتوي على مسائل اجتماعية وسياسية وقضايا التحرر تنطوي في الوطن العربي، وقد عرفت فلسطين أدبًا مقاومًا وضروريًا لأنه يقدس هذا الوطن الإسلامي المقدس الذي اغتصب ووقع بين أيدي الاحتلال الصهيوني الذي شرد الشعب ودمر أراضيها وحاول دائما طمس الهوية العربية الفلسطينية.

إضافة إلى أن أدب المقاومة يعد " أدب نضالي لأنه يلهم الوعي القومي وينيره ويرسم خطوطه، ويتيح أمامه مجالات جديدة لا حدود لها، أدب نضالي لأنه يتولى مسؤولية الأمور ولأنه يمثل إرادة معقودة جاءت في وقتها. وعلى صعيد آخر بدأت الآداب الثقافية والأقاصيص والملاحم والأغاني الشعبية تتغير وتتحول" (شرف، 1991م، الصفحات 64-65).

نستشف من تعريف عبد العزيز شرف أن أدب المقاومة هو أدب يساهم في نشر الوعي وذلك للنهوض من أجل الثورة ومجابهة المستعمر وطرده من أرضه، إضافة إلى أنه أدب يحمل مجموعة من الخصائص تميزه عن غيره بمعنى أن الهدف الأساسي " لأدب المقاومة هو التخلص من السيطرة على الأفراد، والعمل على إذكاء روح المقاومة لدى العامة والخاصة، فأدب المقاومة يعمل على تغيير الحالات الذهبية، والمشاعر ويحث الناس على العمل والاقتداء بالنماذج الناجحة، والتجارب المفيدة والتركيز على الظروف الصعبة التي يعيشها الناس" (شقيرات، 2011م، صفحة 73)، فيشير هذا القول أن هدف أدب المقاومة ليس مجرد كتابة أدبية تصف الصراع بين قطبين أو ثنائيتين بل يتجاوز إلى أنه وسيلة فكرية ونفسية تنقل الحالة الاجتماعية والسياسية التي يعيشها الانسان، فهو لا يكتفي على وصف

المعاناة بل يحفزهم في اتخاذ النماذج الناجحة والتجارب الإنسانية وذلك لتنمية الوعي وتشكيل فكر جديد لمواجهة الصعوبات ويستمد منها القوة والعزيمة.

من خلال ما نعرف أدب المقاومة على أنه جملة من الأجناس الأدبية سواء كانت شعرية أم نثرية، تتخذ من المعاناة تيمة وموضوعة مركزة في بناء النتاج الأدبي، يجسد في العمل الأدبي نضال الشعوب من أجل الحرية والكرامة والدفاع عن الهوية والأرض والقيم الإنسانية والوطنية فبذلك يكون الأديب ملتزمًا تجاه قضية أمته.

2- حدّ الرواية المقاومة:

تمثل الرواية جنس من الأجناس الأدبية النثرية تركز على موضوع هادف أو قضية من القضايا الاجتماعية، تعتمد على مجموعة من العناصر التي من خلالها يتم سرد أحداثها من زمان ومكان وشخصيات تقوم على فعل الوصف والسرد والحوار، فنجد الناقد عبد الملك مرتاض يقول:" إن الرواية تشترك مع الملحمة في طائفة من الخصائص، وذلك من حيث تسرد أحداثًا تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الانسان، وتجسيد ما في العالم، أو تجسد من شيء مما فيه على الأقل" (مرتاض، 1998م، صفحة 12)، فهي تبرز ما يوجد في الواقع من قضايا اجتماعية وسياسية وتاريخية مع إضفاء جانب جمالي على نسقها.

إذا فالرواية هي" جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية مختلفة، وتصورها في العالم بلغة شاعرية وتتخذ من اللغة النثرية تعبيرًا لتصوير الشخصيات والزمان والمكان والحدث، يكشف عن رؤية للعالم" (حجازي، 2005م، صفحة 297)، أي أن الرواية هي قصة مكتوبة تعتمد على لغة نثرية شاعرية قادرة عن التعبير، تجمع بين الواقعية والخيال تروي أحداثًا وشخصيات تكشف عن الواقع بمختلف مواقفه إذ أن الرواية قادرة على استيعاب مختلف القضايا. واعتمدت على التاريخ كعنصر جوهري في بناء دلالة الابداع الروائي حيث " لم تتخل الرواية عن التاريخ بشكل

نهائي، بل قل أنها احتوت معاناة التاريخ بطريقة أكثر فنية فقد اختلت نصيًا مع الوثيقة التاريخية المحظة مقللة من تحالفها التقليدي وانصياعها المعهود له" (ختالة، 2013م، صفحة 127)، ويقصد بهذا أن الروايات الحديثة قد تناولت أحداثًا واقعية، فجمعت بين المقاومة والقمع والاستبداد وظلم السلطة والاستعمار، كما احتضنت مواضيع تاريخية أخرى حدثت في العالم العربي، وذلك بلغة موحية وواعية وراقية، بأسلوب فني جمالي بين الجدية والفنية.

وقد ظهرت الرواية المقاومة التي شكلت إحدى الأشكال الأدبية النثرية التي تعكس تجارب الشعوب في مجابهة الاستعمار والاستبداد، فهي تحاول تصوير وتوثيق وكشف مختلف أنواع الظلم الذي يتعرض له الانسان، يمكن القول انها صراع بين الحرية والاحتلال فهي" نوع من أنواع الأدب المقاوم الذي برز ظاهرة مميزة في الأدب المعاصر، أثناء الستينات خاصة بفعل المقاومة الفلسطينية، وانجذبت إليه أقلام المبدعين والنقاد مقرونة بعطف شعبي عارم وحميم. وهي ترتبط بواقع مقاومة الاحتلال، وتتصف بالكفاحية، شخصياتها المحورية نبيلة، يحدوها النزوع إلى النضال والتضحية ونشد ان الحرية ورفض الظلم والعدوان على كل مستوى، وتدخل الرواية بهذه الصفات صميم الأدب السياسي الذي ليس إلا وجهًا من وجوه العمل النضالي" (الضيقة، 2005م، الصفحات 61-62).

إذ أن الرواية المقاومة فضاء لغوي يعمل الأديب من خلال لغته الشاعرية على توثيق الكفاح والبطولات الشعبية وذلك لإبراز صور التضحية والكشف عن ممارسات القهر مستندًا على شخصيات محورية، ومستندًا على رؤية فنية وجمالية مما جعلها ذات مكانة بارزة في الأدب العربي المعاصر، فهي ذات جانب نضالي سياسي تتمحور حول فكرة مركزة وهي الثورة من أجل التحرر.

3- سمات أدب المقاومة:

أصبح أدب المقاومة أحد أبرز وأهم فروع الأدب، لا سيما في الوطن العربي الذي عانى من القهر والظلم والاضطهاد. وقد منح هذا الأدب لنفسه مكانة خاصة بين الفنون الأدبية الأخرى، لأنه قادر على مخاطبة مختلف فئات المجتمع داخله وخارجه. ومن أبرز خصائصه العامة نذكر ما يلي:

- يقوم الأدب المقاوم على خاصية مهمة وهي" جوهر التحالف المقاومين الأبطال مع الإرادة والصبر والتصميم على نيل الحرية والاستقبال، مهما كانت تضحيات جسيمة" (جمعة، 2009م، صفحة 73)، بهذا الصمود رغم المصاعب والتضحيات الكبيرة، فيشعر بذلك القارئ ويزرع فيه الكاتب الأمل، وفكرة أن الحرية لا تُنال إلا بالإرادة والصبر والتصميم المستمر.

- الأدب المقاوم " يتغذى من لهيب الثورة الغاضبة التي تأججت على نار حب الوطن، والانتماء الأصيل إلى الأرض يدافع عنها، ويُجابه كل معتدٍ غاضب بالكلمة الحرة الصادقة، وبالموقف النضالي الصامد، مادة الثورة الغاضبة التي تبعث من حب الوطن وروح الانتماء له، فيدافع عنها بالقلم الصامد المناضل في وجه العدو" (جمعة، 2009م، صفحة 133)، بهذه الخاصية يشكل الأدب المقاوم حرارة الثورة وغضبها ضد العدوان والظلم، فهو يأخذ من القلم أداة للنضال لمواجهة الاحتلال. فتصبح الكتابة فعل مقاوم يُشارك في الحرية والكرامة.

- يستجيب الأدب المقاوم" للذات الإبداعية الموحدة في مواجهة التمزيق والارتجاف والانقسام الحاصل في حياة الأمة... يحمل منارة الوعي وبث روح الثبات والصبر والتمرد، ثم الثورة بالكلمة والنفس" (جمعة، 2009م، صفحة 74)، بذلك فإن أدب المقاومة يكون دائمًا ردّ فعل ابداعي ينشر الوعي ويزرع لنا الصبر والإصرار في النفس،

كما أنه يحث على التمرد ضد الظلم والثورة عليه، وذلك عن طريق الكلمة والفكر ليستمر الأمل أمام الصعوبات الموجودة.

- يستعرض الأدب المقاوم" المصائب والكوارث، ولكنه يضع الأصبع على الموقف الفعَّال والإرادة والمشاهد المعجبة من الحمية والحرية والجهاد" (أبو أصبع، 2005م، صفحة 63)، وهذا يعني أن هذا الفن يسلط الضوء على الإرادة والمواقف البطولية والقوة الذين يعبرون عن الحرية والجهاد، فهو يبرز الجانب الذي يواجه الظلم والصمود والمشاركة في النضال.

- أدب المقاومة بمختلف أجناسه الأدبية يقوم على الكلمة، أي أن الكلمة تمثل منعطف رئيسي للتعبير عن المعاناة فهي" تولد من رحم معاناة الاحتلال معبرة عن صدق التجربة والأصالة، والكلمة التي عبر عنها غسان كنفاني شهيدُها (بالممارسة الفعلية للمقاومة) وتكون بذلك جزءًا من المعركة وليس مجرد مرآة عاكسة والكلمة القوية الملحمية المتحصنة بعقيدة إنسانية ثائرة" (الضيقة، 2005م، صفحة 61)، فهي تعتمد على تقنيات سردية منها الكلمة فهي تمنح النص الروائي بُعْدًا جماليًا، فيعتمد على الكلمة للتعبير عن الواقع ولخيال وإضفاء كلمات وألفاظ رمزية موحية وعميقة تعكس المعاناة الحقيقية، كذلك تتميز بأسلوب وصفي ولغة أدبية رصينة شديدة ومشحونة بالمشاعر معتمدة على الأسلوب المباشر والنبرة المنبثقة من العاطفة تسعى من خلالها التأثير في المتلقي.

- يتخذ الأدب المقاوم من قضايا الأمة موضوعًا وتيمة أساسية مركزة تتمحور حول موضوع مهم وهو ينطوي تحت قضايا الحرية والاحتلال والصراع، فتبرز معاناة الانسان في ظل القهر السياسي أو تتخذ من حدث تاريخي أو شخصية تاريخية نضالية فتعمل على سرد أحداثها وتوثيق الواقع برؤية نقدية وتحليلية وذلك لنشر الوعي، معتمدة على مختلف عناصر بناء النص الأدبي من زمان ومكان وشخصيات وأحداث والوصف والحبكة والصراع، كما يرتبط "بالواقع الاجتماعي وتتحرك في إطاره وتتفاعل مع قضاياه وهذا ما

سينعكس على أبطالها ويدخلهم في مواجهة مع رموز القهر والطغيان وإضاءة كل ظاهرة سلبية تحول دون تقدم المجتمع وردها إلى أسبابها" (الضيقة، 2005م، صفحة 62).

- يؤكد أدب المقاومة" الروح الأصلية للانتماء إلى العروبة، ويذكي الوعي بها، ويقاوم كل عوامل الفرقة والتمزق، وإنهاء أي نمط من القطيعة بين الدول" (جمعة، 2009م، صفحة 81)، هذه الخاصية توضح بشكل جلي أن هذا الفن الأدبي يمثل الجسر الذي يوحِّد الأمة، فهو يقوّي الروح القومية وكذا الانتماء للعروبة، ويقضي على التفكك والانقسام بين أفراد الأمة أو بين الدول العربية، أي أنه يسعى لربط الدول فيما بينها ليكون وسيلة وأداة للتلاحم الوطني والقومي.

- يقوم الأدب المقاوم على فكرة جوهرية تتمثل في توعية الأمم والشعوب، فهو" الذي يحث الناس على الهرب والنجاة أو الهرب والنجاة ممن يحاولون فرض السيطرة عليهم بالإكراه والجيد منه لا يعنيه رسم سبل النجاة أو الهرب بل يكتفي بالرصد والإيحاء الفني" (أبو أصبع، 2005م، صفحة 81)، بمعنى أنه يركز على عنصر الوعي والتحفيز والتشجيع الفكري أكثر من التعليم، فهو يبين للناس خطر من يريد السيطرة عليهم، ويزرع فيهم الصمود وكذلك اليقظة فهو يستخدم الإيحاء لا الخطط العملية للهروب.

- يتميز أدب المقاوم بـ "الإيمان بالشعب والثقة بقدراته على اجتناب الظلم واليقين المطلق بانتصاره الآتي. كما أنه يتميز بتلوينه بين التمرد وطلب الحرية للوطن وللفرد، بحيث يختلط العام بالذاتي والخاص" (ريغي، 2014م، صفحة 19)، فالأدب المقاوم بهذا المعنى يعد مصدر الهام للشعب وتشجيعه، وزرع الثقة في نفسه للتغلب على كل مظاهر الظلم والاستغلال وزرع التفاؤل والإصرار على الانتصار.

- تعالج و" تتركز مضامين هذا الأدب على قيم البطولة والفداء والصمود والتحدي والثورة والصلابة والشهادة والتمسك بالأرض والمعاناة" (الأسطة، 1429هـ/2008م، صفحة 9)،

ومن أهم مواضيع أدب المقاومة أيضا نذكر: الحرية والاستقلال، الهوية الوطنية والقومية، العدالة والكرامة، التضامن والتعاون وتشكيل وحدة، الصمود في وجه الاحتلال والقهر، التضحيات الجِسام، الوعي، التمرد على الظلم وكذلك الاستبداد.

- بالإضافة إلى ذلك فإن الأدب المقاوم يعتمد على لغة حيوية مشبعة بالأفكار والمواقف السياسية والاجتماعية، فهي تنقل لنا وجهة نظر الكاتب والمجتمع الذي ينتمي إليه، كما أنها تُستعمل للتحفيز والتشجيع على الصمود والمواجهة ضد العدو أو الاحتلال أو أي معتدي، وذلك بهدف الدفاع عن الهوية والقيم.
- وعليه فإن أدب المقاومة بصفة عامة تتسم بالتركيز على القيم النضالية، لغاية توعية الشعوب.

4- الرواية الجزائرية والمقاومة:

تعد الرواية الجزائرية أحد أهم وأبرز الوسائل التي جسدت تجربة الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال والاستعمار، فهي مثلت الأداة التي تنقل الهموم الوطنية وكذلك المقاومة، وتقديم صورة حية لصمود المجتمع الجزائري واستمراره في أوقات التحدي والمحن.

" إن أدباء الجزائر عبروا عن الصراع الكامن في أعماقهم بين اللسان الناطق والوجدان النابض، بين الحضارة الجديدة التي جرت مجرى الدم في عروقهم، حتى اختلط بدمائهم التي فجرت فيها الحياة النقطة الأولى من صلب الأسلاف. وربما يفسّر ذلك الملاحظة التي أبداها الدكتور أبو القاسم سعد الله قائلا: أن البطل في الرواية الجزائرية ليس إلا شخصًا عاديًا ركز الكاتب فيه وعليه كل مشاعر المواطن، إنه ليس مثلا أعلى ولا نموذجًا خارقًا تتكبد وتتجسد فيه فكرة أم مبدأ عام، وإنما هو إنسان واقعي فيه كل ما في الواقع من مأساة وحرارة وصراحة" (شرف، 1991م، الصفحات 67-68).

فالأدب الجزائري لم تكن مقاومته عسكرية محضة بل تجاوزت ذلك لتصبح تعبيرًا عن الحالة النفسية للشعب الجزائري، وثقافته وهويته. فالصراع الذي عاشه الأديب أو الكاتب الجزائري لم يكن صراعًا مع المستعمر فحسب، إنما صراع داخلي في وجدانه. هذا التوتر الموجود في أعماق الكُتاب أنتج لنا أعمالاً روائية مشبعة بالمقاومة والرفض.

كما أن تصوير (البطل) كشخص عادي يؤكد لنا أن المقاومة في الروايات الجزائرية جسَّدت الانسان البسيط الذي يحمل همَّ الوطن في حياته اليومية.

" فأدباء الجزائر توحَّدوا مع شعبهم في مقاومته بحيث أصبحت الثورة تتويجًا وقمة للآلام التي كابدوها، وهنا لا محل للقول القائل بأن تلك سيرة شخصية أو تعبير ذاتي لكاتب منفصل عن الثورة، ذلك أن أعمال الكتاب الجزائريين... ركزت أساسًا حول حركة التحرير" (شرف، 1991م، صفحة 68)، وهذا يدل على أن الكاتب الجزائري كان جزءًا من معاناة شعبه وليس معزولاً عنه، حيث نجده يعيش آلامه وآماله ويحمل همومه. لذلك جاءت الأعمال الروائية الجزائرية مرتبطة بحركة التحرير وتعكس الحرية والاستقلال.

" ونظرًا لأن الرواية الجزائرية قد ظهرت بعد الاستقلال فقد انصب اهتمامنا على أحداث ثورة التحرير أكثر من المقاومات السابقة لها، وإن كانت قد أشارت بعض المقاومات الشعبية، ولكن مع ظهور رواية **كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج سنة 2004م** بدأت الرواية الجزائرية تنفتح على تاريخ المقاومات الشعبية الوطنية، محاولة رصدها فنيًا، وهو ما يدل دلالة واضحة على وعي الأنا الوطني بهويته، كما يعطي دليل على أن الحكم الاستعماري الذي دام أكثر من قرن لم يستطع محو هوية هذا الشعب، رغم كل المحاولات" (بوداود، 2018م، صفحة 12)، وهذا في حد ذاته مقاومة، حيث نجد الأعمال الأدبية رصدت المقاومة الجهادية للشعب الجزائري ضد الاحتلال الغاشم. فرواية كتاب الأمير مثلت الرواية المقاومة باعتبارها أنَّها أعطت مساحة كبيرة جدًا للمقاومة في طياتها.

فالرواية الجزائرية لم تكتفِ بتدوين وتوثيق مرحلة الثورة التحريرية، فهي تجاوزت ذلك وأعادت قراءة التاريخ الوطني واستحضار رموزه وشخصياته المقاومة، وذلك لكي تربط الماضي بالحاضر. فاستعادة الأدباء والكتاب للمقاومات الشعبية في أعمالهم الروائية تدل على أنهم يبحثون في الجذور الأولى للمقاومة التي ظلت ولا زالت متجذرة في نفوس الجزائريين.

ومن الروايات التي اهتمت بنقل مشاهد التعذيب " رواية نتوءات البحر لعزي بوخالفة والتي تتناول في مضمونها مشاهد من ثورة التحرير محاولة رصد ما كان يتعرض له السجناء أيام الثرة من تعذيب وحشي يتعدى الوصف، وفي المقابل يكشف عن صمود الفرد الجزائري أمام كل أصناف التعذيب" (بوداود، 2018م، صفحة 21)، وهنا تتجلى المقاومة بوضوح، فهي تحمّل التعذيب داخل السجون دون خيانة الوطن أو التخلي عن القضية الجزائرية. فالرواية تمارس المقاومة من خلال ثلاثة أشياء يمكن استنباطها، وهي:

- كشف جرائم الاستعمار وفضحه.
- تخليد معاناة الشهداء والمجاهدين في السجن.
- إبراز القوة والإرادة التي يتحلى بها الجزائريين أمام القهر.

فالرواية بذلك تجعل من السجن فضاءً للمقاومة ودليلا على قوة الانتماء للوطن، "وتأكيد للبعد الإنساني في أدب المقاومة الجزائري، صدرت أعمال الأدباء عن اعتقاد بأن حرب الجزائر لم تكن حربًا عادلة وحسب، بل هي حرب من أجل المدينة. من أجل المدينة. لم تكن حرب الجزائر في الأدب الجزائر حربًا تحررية فقط، بل إنها كانت حربًا من أجل الحرية. ومن هنا أعطى الأدب الجزائري... قسمة إنسانية قوبلت باحترام شديد، تتمثل هذه الإنسانية في أنَّ أدباء الجزائر لم يبحثوا عن مفهوم الحرية في المعاجم وإنما بحثوا عنها في منحدرات جبال الأوراس... والقصبة... وقسنطينة..." (شرف، 1991م، صفحة 70).

فالحرب في نظر الأدباء الجزائريين كانت لها وجهين: وجه للهيمنة ووجه للقهر، أي أن الحرية في الرواية الجزائرية ارتبطت بالواقع المعيش، حيث نجدها جسدت الحرية في تضحيات المجاهدين ومعاناة السجناء وصمود الشعب في مختلف المدن والقرى.

والكتابة باللغة الفرنسية في هذه الفترة لم تكن إهانة للغة العربية، بل على العكس كانت وسيلة مهمة لمخاطبة العالم وفضح وكشف خطط الاستعمار وما يحدث في الجزائر، ففي هذا تتحول الرواية إلى شكل من أشكال المقاومة، المقاومة الثقافية، لأنها تهاجم العدو والاحتلال وتُبطل ادعاءاته.

وقد تجسدت هذه الرؤية في أعمال العديد من الكتاب الجزائريين الذين كتبوا في الرواية المقاومة، وجعلوا من الكتابة سلاح للدفاع عن الأرض والوطن، وجعلوا من السرد وسيلة تُوثق وتدوّن النضال الجزائري القوي. من هؤلاء نذكر:

كاتب ياسين: الذي جعل من كتابته نضالاً يتجاوز به الابداع ليدافع عن هويته الوطنية ويكشف قمع الاستعمار، عبرت أعماله الروائية عن معاناة الشعب الجزائري، والصراع القائم بين المستعمَر والمستعمِر، نذكر منهم "الجثة المحاصرة ثم نجمة واستقبل الكتابان في فرنسا استقبالا طيبًا" (شرف، 1991م، صفحة 72)، وقد حظي هذان العملان باهتمام واسع في فرنسا، وذلك يدل على أن المقاومة الجزائرية وصوتها استطاع أن يتعدى حدود الاستعمار ومراقبته، ويصل إلى الرأي العام الفرنسي. فاستقبال فرنسا الإيجابي لهذان العملان جعلها تعترف بالفن الجزائري الذي حملته الروايتان، لأنهما كشفتا معاناة الشعب الجزائري وفضحتا الاستعمار بلغته وبلغة فنية.

فالرواية المقاومة لم تبق محصورة بل تجاوزت ذلك إلى الخطاب الإنساني للدفاع عن الحرية ومحاربة ومواجهة الظلم.

محمد ديب: الذي أصدر عدة روايات مقاومة بلسان العدو منها " رواية البيت الكبير التي صدرت في عام 1952م رغم أنها كتبت قبل ذلك بخمس سنوات، والحريق 1954م ومهنة الحياكة في عام 1957م" (شرف، 1991م، صفحة 73).

تظهر هذه الأعمال كيف استطاع الأدب أن يكون أداة مقاومة من باللغة الفرنسية نفسها، حيث نجده استخدم قلم العدو والمستعمر لسرد معاناة الجزائريين وكشف ممارسات الاستعمار. فالروايات مثل البيت الكبير والحريق ومهنة الحياكة لم تركز على الأحداث التاريخية فحسب، إنما جسدت الحياة اليومية للناس تحت وطأة الاستعمار، ومعاناتهم وصمودهم أمام الظلم والقهر.

مولود فرعون: هو الآخر كتب روايات تدل على المقاومة، حتى أنه " استشهد في سبيل بلاده قبل ثلاثة أشهر ونصف من اعلان الاستقلال... وقد كتب روايته الأولى **ابن الفقير** يستعيد فيها أحداث حياته وشبابه ونضاله من أجل المعرفة، في بلاد وأغلق الاستعمار فيها المدارس وعمل على قطع صلات أهلها بماضيهم وتراثهم وأشقائهم وثقافتهم، وألف رواية **الأرض والدماء** التي فازت بجائزة الأدب الشعبي... ورواية **الدروب الصاعدة** كتبها فنان لم يترك أرض المعركة دقيقة واحدة" (شرف، 1991م، صفحة 77)، بمعنى أن مولود فرعون من خلال رواياته الفرنسية جسَّد النضال الحقيقي للفرد الجزائري في تلك الفترة، ومقاومته للاستعمار رغم الاستبداد الدائم والظلم الحقيقي، فالكاتب مولود فرعون كان مثالا للشعب الجزائري الذي ظل صامدًا مقاومًا لما آلت إليه وطنه وأرضه.

وهناك العديد من الكتاب مولود معمري ومالك حداد وآسيا جبار، واسيني الأعرج، عزي بوخالفة وغيرهم.

وعليه فالرواية المقاومة جسدت صمود الانسان وتمسكه، بالهوية وكفاحه من أجل الحرية. فقد استطاع الروائيون الجزائريون أن يحوِّلوا القلم والسرد إلى سلاح يواجهون به الاستعمار مؤكدين أن المقاومة أسلوب حياة.

5- الروائي "سليم بتقة":

5-1 نبذة عن الروائي سليم بتقة:

ولد سليم بتقة بولاية بسكرة بالجزائر في 10مارس 1963م، وهو أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد خيضر، مسؤول ميدان التكوين بقسم الآداب واللغة العربية سابقا، عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع بسكرة، عضو اللجنة العلمية للمنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، وعضو الاتحاد الدولي للغة العربية، وعضو لجنة قراءة وتحكيم في مجلات علمية محكمة.

كتب في عدة مجالات كالرواية والقصة والمسرح. تحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الحاج لخضر بولاية باتنة، في تخصص الأدب الجزائري الحديث، حيث عمل مسؤولا لشعبة التكوين بقسم الآداب واللغة العربية. كذلك درس بجامعة محمد الصديق بن يحي بجيجل، والآن يشغل مدرسًا بقسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة.

له أكثر من أربعين منشورًا في مجلات محكمة وغير محكمة، له الكثير من المؤلفات المطبوعة في دور النشر الدولية والوطنية. نشر أول عمل روائي له في عام 2015م تحت عنوان "جذور وأجنحة"، عُرف بإسهاماته في السرد الروائي والنقد الأدبي، ويعد من الأصوات المعاصرة البارزة في المشهد الأدبي الجزائري خصوصًا في التناول التاريخي والذاكرة الجماعية في أعماله (بتقة، بلا تاريخ).

أ- الدراسات الأكاديمية:

- الريف في الرواية الجزائرية، دار النشر والتوزيع، دار السبيل، الجزائر 2010م.
- أوراق بحثية في النقد والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو،2014م.
- تزييف السرد الروائي الجزائري، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2014م.
- البعد الأيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب، دار علي بن للطباعة والنشر،2014م.

ب- الأعمال الأدبية:

- جذور وأجنحة (رواية)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، 2014م.
- بؤس بلاد القبائل لألبير كامو (كتاب مترجم)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2016م.
- أحلام تحت درجة الصفر (مجموعة قصصية)، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2020م.
- وقع الأحذية المتعبة (مسرحية من خمسة فصول)، دار الأمل، تبزي وزو، الجزائر، 2020م.
- قداس الكاردينال، وهي رواية تاريخية حائزة على جائزة أول نوفمبر التي ترعاها وزارة المجاهدين 2021م، وجائزة دار الخيال للرواية 2022م، دار الخيال للنشر والطباعة والترجمة، برج بوعريرج، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، 2023م، ودار غراب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2024م.

- إيزابيل (رواية)، رواية علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، 2024م.

- شارك في العديد من الملتقيات داخل الوطن وخارجه. أشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه، كما ناقش العديد من الرسائل في الماستر والماجستير والدكتوراه، وأنجز العديد من الخبرات لملفات الترقية، وتحكيم الكثير من المطبوعات البيداغوجية لزملاء العمل. وهو عضو الهيئة الاستشارية لعدد من المجلات الجامعية، وعضو اللجنة العلمية للمنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي.

5-2 ملخص رواية "قداس الكاردينال" للمؤلف سليم بتقة:

- **من حيث الشكل:**

رواية قداس الكاردينال للروائي سليم بتقة هي رواية صدرت في طبعتها الأولى سنة 2023م، عن دار الخليل للنشر والتوزيع والترجمة بالجزائر، بعدما فازت في المسابقة التي نظمتها هذه الدار، وعدد صفحات الرواية هي 186، مقاسها 12/14.

أول شيء يجذب القارئ في الرواية هو الغلاف والعنوان والألوان، فاختيار الألوان لم يكن اعتباطيًا، فلون الغلاف الأحمر له دلالة عميقة، فهو يدل على الدم والقوة والمقاومة، كما أنه يدل على الخطر، وهذا ما يرتبط بمضمون الرواية.

بالنسبة للعنوان "قداس الكاردينال" فيُشير إلى " طقس من الطقوس الكنيسة الذي يشرف عليه أحد القائمين على الكنيسة الحامل لرتبة "كاردينال" وهي رتبة عالية في هدم الكنيسة الكاثوليكية، وعادة ما يكون له دور بارز في الطقوس الدينية والقرارات الكنيسة... فالعنوان يحيل إلى حدث ديني مهم وبارز في الكنيسة الكاثوليكية تمّ بمباركة وتزكية وإشراف شخص ذو رتبة مرموقة وهو الكاردينال" (بوحوش، 2024م، صفحة 513)

ويأتي في الغلاف صورة لشخص يحمل الصليب ذو لحية طويلة، فهو تمثال يشبه رجال الدين الذين يحافظون على لِحاهم ويرتدون قبعات سوداء، ونرى رجالاً وراء هذا التمثال يعملون ويفصل بينهم وبين التمثال سياج له معنى وهو الخط المفعم بالكهرباء الذي تم وضعه للجزائريين، لأن هؤلاء العمال يمثلون الجزائريين الذين كانوا وراء هذا الخط. فالتمثال يرمز لشخصية لافيجري المتجبر والمسيطر.

- **من حيث المضمون:**

قداس الكاردينال هي رواية جزائرية، تدور أحداثها في ولاية بسكرة (بوابة الصحراء)، عن مجازر الأحد الأسود التي حدثت عام 1956م، حيث مات الأبرياء في ساحة تسمى الكاردينال لافيجري، حيث ماتت النساء والأمهات والأطفال والشيوخ دون رحمة أو شفقة، منهم الميت ومنهم الجريح.

استعان سليم بتقة بتقنية الاستذكار، وربط أحداث الرواية بمنطقة بسكرة مناطقها وأحياءها، لكي يحرك السرد، فمزج بين ما هو واقعي وما هو متخيل في الشخصيات، ليبين كيف قاوم الشعب الجزائري تلك المجازر وواجه العدو في لحظة القمع.

والرواية تحمل العديد من الشخصيات التي من خلالها سرد لنا مقاومة الجزائريين لسياسة القمع الاستعمارية، وللعذاب الذي شهده الشعب من قبل فرنسا.

فالراوي وظف اللغة الدارجة العامية الخاصة بالشعب الجزائري ووظف اللغة الفرنسية والعربية الفصحى ليضفي انسيابًا على النص الروائي، فكانت الرواية بذلك وكأنها حدثًا صار اليوم. جعلتا من القارئ مشاركًا في الأحداث والوقائع، وكأنه موجود في ذلك المكان.

لتنتهي الرواية بالانتصار، واستعادة الأمل من جديد رغم ما قاسته بسكرة وما شهدته ساحة لافيجري إلا أنَّ الحياة عادت مرة أخرى، وعاد الناس إلى حياتهم الطبيعية.

الفصل الثاني:

تجليات المقاومة في رواية قداس الكاردينال لسليم بتقة

1- فعل المقاومة وسياسة القمع في الرواية:

يعد عنصر فعل المقاومة وسياسة القمع من المحاور الأساسية في الرواية ذات البعد الواقعي وأدب المقاومة، حيث يقوم البناء السردي على إبراز الصراع القائم بين طرفين غير متكافئين: طرف يمارس القمع والسيطرة، وطرف آخر يحاول مواجهة هذا الواقع أو التكيف معه بعدة أشكال مختلفة من الصمود والمقاومة.

وتتجلى سياسة القمع في الرواية من خلال ممارسات متعددة ارتبطت في كثير من النماذج بالاستعمار الفرنسي، حيث يظهر القمع في صورته المباشرة من خلال العنف، الاعتقال، الاقصاء، والإعدام، كما يظهر في صورته الإدارية عبر التحكم في فرص العمل، وفرض القوانين، والتفريق بين الفئات الاجتماعية، والهمجية التي تبناها الاستعمار اتجاه الشعب الجزائري. سنتناول عدة نماذج توضح سياسة القمع الاستعمارية والتعذيب والتنكيل الذي تبنته فرنسا اتجاه الشعب الجزائري.

في موضع من الرواية تذكر السيد دانيال مشاهد محزنة رآها في صغره وفي مدينته، يقول: "**لا يزال يتذكر ممرات القنطرة والوادي يتدفق على الجنبات... يومها وفي عز شهر ماي ألقوا من أعلى الجسر بعربة مليئة بالأحياء... هذا المشهد لا يخرج من ذهنه... ولن يخرج أبدًا... حينها رأى الجثث في الماء، وكانت أذرعهم وأرجلهم لا تزال تتحرك، شعر بصدمة شديدة، بالمقابل كان يرى أولئك الوحوش وهم ينظرون إليها بابتسامة ساخرة**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 17).

صور الكاتب من خلال هذا الاسترجاع مشهد عنيف يحمل دلالات إنسانية عميقة، وهذا من خلال سرد واقعة إلقاء أشخاص أحياء فوق الجسر إلى الوادي. وتتجلى سياسة القمع في صورتها القصوى، من خلال ممارسة العنف المباشر ضد المدنيين، حيث تُظهر لنا غياب

الإنسانية بكامل جوانبها. فإلقاء الأحياء في الماء هو استبداد بأم عينه، بل ومن أكبر درجاته، حيث يتول الانسان بذلك إلى مجرد ضحية بلا قيمة.

كما يظهر القمع فيما خلفته هذه المشاهد في نفس السيد دانيال، من خلال أثر الصدمة التي بقيت راسخة في الذاكرة، إذ يؤكد قوله إن هذا المشهد لا يخرج من ذهنه ولن يخرج أبدًا، وهو ما يدل على أنَّ القمع لا يتوقف عند لحظة الفعل، فهو يمتد ليؤثر في الذاكرة والوعي.

ومن جهة أخرى نرى بشاعة القمع في الابتسامة التي ابتسمها الجنود عند قتلهم للناس، حيث أصدروا ضحكًا ساخرًا بعد ما فعلوه، حيث تتحول الجريمة من الفعل إلى السخرية، وهذا إنما يدل على شيء واحد وهو الانحطاط الأخلاقي لدى الجهة التي مارست القمع، ويبرز مدى تجردهم من الإنسانية والرحمة، وبذلك فإن هذه الجريمة قد جمعت بين العنف الجسدي والعنف النفسي العنف الرمزي.

وفي موضع آخر نجد حديث السيد دانيال مع السيدة جرمان عندما كانا يتحدثان عن أمور السياسة، حيث راح يخبرها عن لأخبار التي يقرأها في L humanitè dimanche " **عن جندي اغتيل في أرجانتوي بضواحي باريس من قبل الجبهة، وعن الجزائر الثلاثة الذين تم تقطيعهم إلى قطع، وعثر عليهم في حقيبة... وعن القنبلة التي وضعت أمام شقة محافظ الشرطة في غرونوبل... كان السيد دانيل دائما مع الجزائر منذ البداية**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 31)، يمثل هذا الخطاب السياسي صورة لكشف حجم التوتر والعنف المحيط بالأحداث، وتتجلى سياسة القمع أيضا في الأحداث التي يُشير إليها السيد دانيال، مثل الاغتيالات والتفجيرات والقتل، وهي مظاهر تدل علة الواقع المليء بالصراع. هذا العنف لا يفهم بعيدا عن السياق الخاص بالاستعمار فهو نتيجة لتلك السياسات القمعية السابقة التي أدت إلى تفجير الوضع.

فالقمع لم يعد محصورًا في مكان معين، إنما أصبح ينتقل بين فرنسا والجزائر، كما أن السيد دانيل الذي كان مع الجزائر جزائرية منذ البداية، فهو يبرز الوعي بالحقيقة والرفض الدائم لسياسة الاستعمار القمعية ومقاومتها في الوقت عينيه، فوجود صوت هذه الشخصية (دانيال) يفضح القمع من الداخل، أي من خلال شخصية تدرك ما يجري ويعبر عن موقف مخالف للهيمنة.

كما نجد شخصية جناب الحاخام يظل يحدثهم عن" **محتشد ... وعن قطار المرحلين، وعلى الأراضي الفرنسية حين أوقف الجستابو القطار... اضطر اليهود إلى النزول وركوب الشاحنات... توجهت بهم إلى الغابة... ثم إنزالهم وأجبروهم على حفر حُفر شاسعة، عندما انتهوا من عملهم، بدأ رجال الجستابو يمارسون هوايتهم، وبدون شفقة وتسرع قتلوا السجناء. كان على الجميع الاقتراب من الحفرة وتقديم أعناقهم. تم إلقاء الأطفال في الهواء لتستهدفهم الرشاشات... كان الوحيد الذي استطاع الهرب بمعجزة بعد أن ظن الجميع أن مات**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، الصفحات 47-48).

يبرز هذا المقطع القتل الجماعي، الذي يمارسه الاستعمار من خلال إجبار الضحايا على حفر قبورهم بأيديهم، وهذا أقصى صور القمع، وهذا إذلال وتجّرد من الإنسانية، فهذا العمل يكسر كرامة الإنسان قبل قتله، وهو شيء يفعله الانسان المجرد من الرحمة. والعنف عند هؤلاء يميز بين البريء وغير البريء، كما أن الحادثة نقلت للقارئ الرعب والخوف الذي عاشه الضحايا وهذا القمع نفسيًا بالدرجة الأولى، كونه يزرع الرهبة ويُحطم الانسان من الداخل.

يتحول وجود ناجي من الحادثة إلى شاهد على الجريمة فهو ينقلنا للآخرين، مما يجعل الذاكرة شكلا من أشكال المقاومة، لأنه يقاوم النسيان في مقابل محاولة القمع وطمس الحقيقة.

وفي حديث دانيال مع زوجته كوليت وصف لها الفرنسيين وطريقتهم في الاستمتاع والترفيه عن الناس، حيث نجده يقول لها:" **إنهم يستمتعون بتعذيب السجناء ويبتسمون لعواء ضحاياهم... يستمتعون بالجروح التي يحدثونها، وبمشهد أولئك السجناء وهو في مخاض الموت... بالتركيز على المعاناة بدلاً من المعلومات... لقد أثبتوا أنهم محققون فاشلون، جلا دون متعطشون إلى الدماء... نازيون جدد...**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 51)، صوَّر المقطع التعذيب كفعل متكرر ومنظم، إذ تشير العبارة إلى نفس الأسلوب دائما، وهو ما يدل على أنَّ التعذيب ليس الحالة الاستثنائية، بل ممارسة تعتمدها السلطة. كما أن استعمال الجهاز التعذيب طوال الليل يمثل استمرارية القمع وتحوله إلى وسيلة دائمة للسيطرة.

ووصف السيد دانيال للصرخات والتأوُهات التي تخرق الجدران، ما هو إلاَّ دليل على شدة الألم وتأثيره، ليس على الضحايا فحسب، على ما يسمعه. وهذا يجعل التعذيب وسيلة لإرهاب الآخرين وليس فقط لمعاقبة السجناء.

ويكشف لنا هذا الحديث، التجرُّد الإنساني للجلادين، حيث يتم تصويرهم وهم يستمتعون بعذاب الضحايا ويبتسمون لمعاناتهم وهذا يمثل انحطاطهم الأخلاقي ويجعل القمع فعل قائم على اللذة والمتعة عن طريق العنف الجسدي وليس تنفيذ الأوامر فحسب، فهذا التعذيب عكس لنا تواطؤ السلطة وصمتها على ما يحدث في المدينة، حتى أصبح هذا الفعل عندهم حدث دائم غير محدد، بل تغض المنظومة الطرف عنه وتدعمه.

ليواصل حديثه عن الوقائع القمعية، حيث قصَّ ما أخبره به أحد الضباط العائدين من هانوي. حيث قال له:" **دخلت مكتب أحد الضباط بدعوة منه، عرض عليّ سيجارة فقبلت عن طيب نفس... ثم رحت أبحث عن منفضة ارتطمت يدي بجسم مدور أبيض على المكتب... لم انتبه في البداية، ولما اقتربت منه تبين لي بأنَّها جمجمة بشرية... ولما استفسرته عنها، قال لي بأنها جمجمة جندي فيتنامي قذر... وأنه يستعملها كمنفضة...**

الأمر لم يكن سهلا مع نزع الشعر، لقد استغرق عليه في الماء أربع ساعات، ثم بعد ذلك رحت بواسطة السكين" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 52).

تجاوز العنف حدود القتل في هذه القذارة إلى مستوى أكثر خطورة وهو امتهان الانسان حتى بعد وفاته، حيث تتحوَّل جمجمة الجندي إلى أداة تُستعمل بشكل عادي، وهو ما يدل على محو كامل لإنسانية الضحية. فالقمع هنا يمارس لإلغاء قيمته الرمزية والإنسانية، وكأن المستعمِر يسعى إلى تأكيد تفوقه عبر تحويل الآخر إلى شيء بلا معنى، وبلا قيمة.

كما يكشف هذا السلوك عن الاحتقار والعنصرية، والتي تظهر في وصف الضحية وهو ما يبرز العنف في الجلاد ويجعله مقبولاً لديه. وتزداد القسوة حين يعرضون الفعل بطريقة عادية خالية من الشعور بالذنب، وهذه الممارسة اليومية مألوفة. فالرواية لا تمرر هذا المشهد دون موقف، فهو يفضحه من خلال إدانة صريحة تكشف التناقض بين ادِّعاء "الحضارة" وهذه الأفعال الوحشية.

تطور العنف والقسوة فأصبح يحلو لممثلي السلطات العسكرية والمدنية "**حضور عروض الفرجة التي يتحفهم بها الهايشة من حين لآخر. لقد استغل الساحة بها أكواخ العجول والأبقار لتكون مكانًا للجلد... ففي كل مساء يجلد فلاحًا أو زوجته، أو ابنه... فكانا يستمتعان بالمشهد ويضحكان كثيرًا دون أسف**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 56)، تعكس هذه الصورة شدة القسوة، حيث يُقام في فضاء مفتوح أمام أنظار السلطة العسكرية والمدنية. هذا الحضور يؤكد أنها تتبنى هذه الأفعال ضمنيًا. فاختيار الساحة التي كانت مخصصة في الأصل للحيوانات، لتحويلها إلى مكان للجلد، حيث يتم نفي واختزال الانسان إلى مستوى أدنى. فيعاملوه كما يُعاملون الحيوانات، وهذا الاذلال قامت عليه سياسة القمع.

ويتجلى القمع كذلك في استهداف فئات مختلفة من المجتمع، كالفلاح وزوجته وابنه، ليشمل العنف كل الفئات ولا يقتصر على فئة واحدة، وهذا رغبةً منهم في بث الخوف داخل المجتمع كله، والسيطرة عليهم عن طريقه، غير أن أخطر ما في هذا هو اقتران التعذيب بالضحك والاستمتاع، فهنا الألم الذي يحس به أولئك الناس يتحوَّل إلى فرجة، ويقابلوه بالسرور والعقوبة بدل الشفقة.

والملاحظ من ذلك أن هذ التصوير المكثف لبشاعة القمع لا يخدم السلطة، بل يفضحها، فهو يكشف حقيقتها القائمة على العنف واللانسانية وهذا ادعاء التحضر، ومن هنا تتجلى المقاومة داخل هذا المقطع بشكل غير مباشر، وذلك في الكتابة السردية التي تكشف هذه الممارسات وتعريتها أمام القارئ، مما يثير فيه الرفض والاستنكار.

فالمقاومة لا تظهر بالقتل ولا على شكل مواجهة، فهي تظهر في فضح القمع والتناقضات الحاصلة، وهذا فعل مقاوم لأنه يواجه السلطة بالحقيقة ويمنع تزييف الواقع أو اخفاؤه، و" **أحيانًا كان يجبر عماله على حفر حفرة، ويرميهم فيها، ثم يطلق النار، فتنهار الأرض فوق رؤوسهم... تطلق السكينة صرخة خارقة، فيأمرها بإغلاق فمها... يستمر في الدوران حول الحفرة بلا نهاية... يصفهم بالخنازير... وفجأة يعاود إطلاق النار على كومة التراب الكبيرة... ويضحك ملء فيه، تسقط التربة أولا على الأقدام، ثم على الأثواب، وتدفنهم تدريجيًا**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 56).

فالقتل فعل مدروس يقوم على الإذلال قبل الإنهاء، وحفر القبور خير علامة على ذلك، وإطلاق النار داخل الخفرة، وترك التراب ينهار فوق أجسادهم هو صورة لبطء الموت وقسوته، كما نجد البعد النفسي وارد وواضح في الأفعال، من خلال الصراخ الذي يُقابل بالقمع الفوري، حيث يمنعون الناس حتى من التعبير عن ألمهم، وكأن المطلوب منهم هو إسكاتهم لا قتلهم.

تقوم اللغة بدورٍ مهمٍ في هذه السياسة، حيث يتم وصف الضحايا بصفات حيوانية لتبرير السلوك العنيف، هذا التصوير الذي صوره سليم بتقة في روايته هو بهدف عرض الصورة الصادمة، وذلك يجعل المتلقي يدرك بشاعة الحقيقة ورفضها. فالمشاهد هذه تحمل تفاصيل قاسية لا تترك لنا مجالا لتبرير ما يحدث، وإنما تضعها في إطار الإدانة. وسليم بتقة في هذا الموقف جعل من لغته وسرده وسيلة لفضح هذه الأفعال وتعريتها لفضح زيفها وفضح وكشف كل من يحاول تغطيتها والتقليل من خطورتها.

وفي حادثة وقعت لشيخ يسوق أمامه حمارًا هزيلا، ملكه يَكِنُّ له المحبة والرأفة، حتى أن الحمار –أكرمنا الله وإياكم–كان يقهقه ويلعب مع مالكه، ولا يدري أي عنف سيحل به، لأن العساكر كانوا يتابعون هذا المشهد، ويُراهنون على إصابة الحيوان من مسافة بعيدة لإنهاء خبزة اليتامى كما وصفها الكاتب، حيث " **صوَّب الجندي سلاحه بهدوء باتجاه الحمار، كما في ميدان الرمي، ثم أطلق رصاصة سقط إثرها الحمار قتيلا... أمام دهشة الشيخ الذي كان يتأهب لدخول الدكان... هرع المسكين مسرعًا إلى حماره المضرج بالدماء... تربَّع أرضًا... تهدج صوته، وتحدرت دموعه... أسرع إليه من مكان في السوق وتجمعوا حوله، وراحوا يواسونه... وقد امتلأت عيونهم بالدموع... رفع سبابته في اتجاه السماء**

– **نوكَّل عليكم ربي... خبزة ليتامى**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 74)

يجمع هذا النموذج وهذه الواقعة بين ممارسة العنف وهيمنة القوة من جهة، وكشفها وإبراز آثارها من جهة أخرى، حيث يطلق الجندي النار ويسقط الحمار بكل برودة ودون إحساس بالمسؤولية، ليستمروا في الضحك كعادتهم والاحتفال والتهنئة للجندي الذي أصاب الهدف من مرمى بعيد، هذا التناقض بين الحزن والمتعة يجعلنا نفهم الظلم الواقع، وحقيقة العسكر الهمجيين. فهذه مقاومة من نوع آخر، وصبر على الظلم واليأس والاحتقار.

ويحكي أبو بكر عن الخوف الذي زرعه الفرنسيين في نفوس المدنيين فيقول:" **أنا تحبست عام كامل تعلمت الخوف واش معناه، واش طعمو، شفت بعيني أظافر الانسان كيفاه تنقلع... حسيت بالضر كي ينتفو شعر العانة من المنبت انتاعو... كاش مشفت راس بنادم يدلّى؟ وإلا فريسة بشر كما العين يخرج من داخلو دم ساخن؟ أنت ما شفتش هذا الشيء... أنا اللي شفتو... ما تهدرش على الخوف... نحكيلك هذي وما نزيدكش... كان معايا في الصالة انتاع التعذيب... مناضل من جوايه خنقة سيدي ناجي... المسكين كركروه عند الضابط... حط الموس اللي كان اللي في يدو... وهز لهراوة ضربو في محاشمو-حشاكم-عيط عيطة... نظن البلاد كاملة سمعتها... والثانية انتفخو... والثالثة رجع الدم... وتغاشى**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، الصفحات 94-95).

يجمع هذا المقطع بين الفعل المقاوم وسياسة القمع، حيث نجد المعاناة تتجلى كحقيقة عاشتها شخصية أبو بكر بالرغم من أنه لم يذق الألم إلا أنه حسَّ به بالرغم من شدة وقساوة الموقف والوضع، فممارسات التعذيب هذه كانت جسدية محضة، تتمثل في الضرب الشديد، والتعذيب من المناطق الحساسة، وهذا بهدف الإهانة والإذلال، يحطمون بذلك مقاومة الضحية ويحطمون قوته من الداخل ويجبرونهم على الشعور بالخوف مهما كانت درجة مقاومتهم.

هذا الخوف الذي يزرعه السلطات في نفوس الأفراد والسجناء يجعلهم يعيشون حالة ضعف دائم تمنعهم من المواجهة، وبالرغم من ذلك كانوا يقاومون ولا يظهرون ألمهم وضعفهم، فكان ذلك يشجع العدو على الاستمرار في هذه الأفعال لإظهار قوته وقمعه، وفي المقابل يظهر خطاب بعد ذلك يرفض هذا الواقع "**اللي يموت على الوطن، لازم يملكو في عينيه، وفي جلده ويديه، ولورق الشجر انتاعو، ولحم أرضو... نكهتو ورجاله ونساء... عندما يزول الخوف ويتبدد القلق، يصبح المرء أكثر صفاء ويمكنه المواجهة حينئذ**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 95).

هذا الخطاب مضاد لما قبله، يقوم على رفض هذا الخوف ومقاومته والدعوة إلى تجاوزه، حيث يتم التأكيد على أن التحرر يبدأ من كسر الحالة النفسية التي زرعها القمع وفرضها، وأن استعادة القدرة على المواجهة تمر عبر التخلص من أثر الرعب الداخلي. والكاتب هنا، عرض سياسة القمع بكل عنفها الجسدي والنفسي، وفي ذات الوقت أبرز لنا بذور المقاومة الفكرية التي تقوم على الوعي بالخوف ومحاولة تجاوزه.

وهنا مواقف عدة تشمئز منها النفس، أفكارهم وقسوتهم وأفعالهم الهمجية والقاسية تقطع الأنفاس وتثير التقزز منهم، ومن ذلك ما حكاه موسى للسيد بوبكر عن معاملة الأفارقة للبيض ونظرتهم لهم، حيث " **كان الضابط المسؤول يضرب لنا مثالا كلما داهمنا قرية نشك أنه كان بها فلاقة... يمسك طفلاً رضيعا من رجليه ويضرب رأسه على الحائط... ثم يقول لنا لا داعي لتبذير الذخيرة... رأيت هذه المشاهد المقززة مرارًا... أحيانا يغلبني القيء.... تهرع الأم المسكينة مندفعة نحوه وهي تصرخ مثل المجنونة، فيطلق عليها على الفور رصاصة من مسدسه... آه، أرى أنك مصدوم، سيد بو بكر... هذا هو تعليمهم الأيديولوجي**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 101)، قتل الأبرياء هو ممارسة وحشية تبناها الجنود على أنها تعليمات من داخل المؤسسة العسكرية. هذا النوع من السلوك يوضح بشكل جلي أن القمع منظومة تلقَّن داخل الجيش، حيث أصبح العنف جزءًا من التدريب.

تبدأ المقاومة عندما يتحول العنف إلى معرفة، وتتحول التجربة إلى وعي ينقد الوضع ويفضح بنية الاستعمار، والمقاومة هنا جاءت على شكل مقاومة معرفية وفكرية تقوم على إعادة بناء الوعي من جديد. فموسى عندما يروي ذلك فهو يعيد تفسير ما كان يراه سابقاً، ويكشف حقيقة هذه الجرائم المرتكبة في حق النساء والأطفال والشيوخ.

يستمر الظلم في الرواية حتى يصل إلى ضرب الأفراد دون أي فعل، أي أن الضحية لم يفعل أي موقف يجعلهم يضربونه، لكن الاستبداد والقمع يسير في عروق هؤلاء السلطويُّون

حيث يحكي سليم بتقة ويقول: "**قبل أن يصل إلى المنصة، وجد بولخراص نفسه مطوقاً بحشد من الفرنسيين، انحنوا عليه، وراحوا يضربونه، اندفع ليشق طريقه بينهم، لكنهم لاحقوه بقسوة، وشراسة، طرحوا المسكين أرضاً، وراحوا يدورون حوله كوحوش ضاربة حول فريستها بعيون غاضبة ينافحون حقداً أو كراهية... يضربونه تارة ويركلونه تارة أخرى... تظاهر المسكين بالإغماء، فليس أمامه خيارات أخرى... استمروا في هذا زمناً، ثم تركوه... بعد تدخل أفراد من الشرطة**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، الصفحات 128–129)، هذا الاستهداف من قبل الفرنسيين يخص وجود الشخصية ذاتها، وليس سلوكها، يكسرون الإرادة ويلغون إمكانيات التعبير أو الظهور في الفضاء العام (المنصة)، هذا لكي لا يترك لبولخراص أي فرصة للنجاة أو المقاومة الفعلية، فالعنف عندهم غريزة كما شبههم سليم بتقة (الوحوش الضاربة) ويظهر بولخراص مقاومته من نوع آخر، عندما تظاهر بالإغماء لكي ينجو من الوضع الذي هو فيه، حيث لا مهرب إلا بالإغماء لتفادي الإبادة في ظرف قمعي.

والملاحظ هنا أن تدخل الشرطة هو فقط أمام العيان، لكن ما خفي هو تحكمها في الأوضاع متى تشاء، وإدارتها في العنف متى يحلو لها ومتى تمنع ذلك، وهذا تحت شعار "تحديد من يحق له الكلام ومن يسكت بالقوة".

في مشهد آخر للقيادة الفرنسية، عندما استنزفت وحداتها العسكرية، والتي من بينها الفرقة الرابعة والعشرين الإفريقية RAC المتمركزة في سطر مولوك، انطلقوا وهم مدعمون بالرشاشات والبنادق والقنابل بحجة التحقق من الهوية، لكن مبتغاهم كان غير ذلك، حيث كانوا يقتلون كل من وجدوه في الطريق خارج منزله، فانقسموا إلى مجموعات يشبهون قطيع من الذئاب المتعطشة للدماء كما تم وصفهم في الرواية، فوجدوا رجلا كبيرا في السن خرج ليرى ما يحدث في الحي فتلقى" **لكْمة على وجهه أمال وجهه فجأت على أذنه فوقع مغشيا عليه، ثم داس عليه الجندي على صدره فسمع طقطقة عظام صدره... وركله بقدمه ثانية**

في رأسه أحس بالصحو لشدة الألم، أطلق عليه رصاصة... فقطعت إصبعه" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 149)، ليحسسه به بالذل، وأنه بلا قيمة، ومجرد رقم في تلك الدولة (فرنسا)، لكن الشيخ قاوم ذلك الألم وتلك الأفعال اللاأخلاقية لكي يذهب إلى بيته وأولاده لكن الحال انعكس عليه، لتخرج ابنته لتفقد والدها، وما حدث معه لتجده مرميًا على الأرض بالدماء والألم الشديد، لكن الحال ليس هذا، حيث " **شد أحدهم قبضته الغاضبة على خصلة من شعرها، وجرّها بعنف على الأرض... بعد أمتار قليلة رفعت نظرها إلى أعلى عاجزة. وقد احمرَّت عيناها... بينما راح هو ينتزع القرصين المعلقين بأذنيها...**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 149).

المسألة هنا تتعلق بالعنف وحده، تتجاوز ذلك إلى تأكيد السيطرة على الجسد وإخضاعه بالكامل، حيث في لحظات الفقدان والصدمات، فصدمة الفتاة ورفضها للظلم وصراخها حول ما يحدث في حد ذاته مقاومة، ليتضح الفعل المقاوم في محاولة الشيخ النهوض" **فسحق أحدهم قدمه على الجزء السفلي من بطنه لشل حركته... هوى وتكوم كبالون مخزوق نظر إلى الجندي الفرنسي صارخًا:Laisses- la espèce Dignoble أغمض لها عيناها بيده القاسية بعد أن انتزع الأقراط وقتلها على الفور، ثم أجهز الآخرون على أبيها، فاستكان قتيلا غارقا في بركة من الدماء... كانت نظراتهم تعبر عن متعة بغيضة**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، الصفحات 149-150). يثبت المقطع استمتاع الفرقة الفرنسية أثناء تعذيب المدنيين والأبرياء منهم، كونهم لم يكتفوا بطرح الشيخ وابنته أرضا وإنما أرادوا الاستمرار في ذلك بالضحك واللعب بقيمة الإنسان وكرامته وجسده والتحكم في حياته، هذه التسلية القمعية جعلت من أفعالهم صورة لأنفسهم.

هذا الكشف الدقيق لحجم العنف الواقع هو من ملامح المقاومة بشكل غير مباشر لأنه يحوّل النص إلى وعي يرفض التبرير ويدفع نحو معرفة وإدراك الحقيقة بدل قبولها. وكان هناك جنرال يكره العرب كُره الصياد للخنزير، حيث مصير الرجال عنده هو الموت

كالخنازير، يمشي تحت شعار " **إذا لم تكن قد قتلت عربيا واحدا على الأقل يوميا فقد أهدرت يومك، إذا انتظرت حتى بدء العملية اقتل عربيا لقتل الوقت. إذا قتلت عربيا اقتل آخر... لا شيء يسلينا كثيرا مثل كومة من الجثث... لا تتردد... لا تتراجع... اقتل**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 151).

القتل هنا جزء من منظومة منظمة توجهها الدعاية الاستعمارية، وتعيدها يوميا، فالدعوة إلى قتل عربي واحد على الأقل يوميا، تكشف أن القمع يعمل عبر خطاب أيديولوجي يحول العنف إلى واجب يومي ومعيار للنجاح، وهذا من أخطر أشكال السيطرة لأنه يستهدف الوعي قبل الفعل، فالإنسان العربي هنا مجرد هدف قابل للإزالة حيث يجرد العربي من إنسانيته ويختزل إلى مادة للقتل. وهذا يبين لنا أن القمع الاستعماري يقوم على نفي الآخر قبل التخلص منه جسدياً.

يمكن الإشارة إلى أن الرواية بأكملها عبارة عن كشف لسياسة القمع الفرنسية التي استولت على المدنيين العرب، فأغلب الأحداث قمعية بامتياز استولت على الأبرياء بصفة خاصة، ففي وقت تمركز الجنود وحملهم لأسلحتهم ضربوا أبواب بيوت بني مراب وجعلوا الناس يصطفون على الحائط الطيني وأشاروا لهم بأنهم سيتم ذبحهم كلهم، هذا دون أي فعل منهم حيث أشار القائد على قتلهم وانطلقت "**عاصفة من طلقات الرشاش تمزق الهواء، تُرى جثث تسقط في الطريق... ركض صبي في العاشرة من عمره باتجاه الرصيف... كان شاحباً جداً... نسي أن يتوقف أمام ضابط قادم من المقر الرئيس للقوات الفرنسية... قبض عليه هذا الأخير، ودون أن ينبس ببنت شفة، سحب مسدسه ووجهه نحو رأس الصبي وأطلق النار... سقط الصبي وذراعاه ترتعشان... أعاد الضابط سلاحه دون أن ينزعج... أكمل طريقه لأن مهامًا أكثر خطراً تنتظره**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، الصفحات 152-153).

هذه المعاملة التي جعلتهم يقتلون طفلاً دون أي تبرير أو حركة تتطلب توقف، هو قمع من الدرجة الأولى، فالأبرياء ضحايا هؤلاء الوحوش ورَّد فعل الضابط على عملية القتل هذه هي إنجاز إداري في نظره، لكنه قمعي بالدرجة الأولى لأنه أصبح جزءاً من الروتين اليومي لهؤلاء.

وهذا ما يجعل هذا الفعل تجاوز كونه جريمة فردية إلى كونهم ممارسة تعكس طبيعة نظام القمع على القمع، حيث يصبح قتل الأبرياء وسيلة لإثبات السيطرة وبث الخوف في نفوس الآخرين. فاختيار طفل كضحية لا يحمل أي تهديد يكشف أن الهدف هو ترسيخ الرعب داخل المجتمع، حتى يشعر الجميع بأنهم معرضون للمصير نفسه في أي لحظة.

وفي جولات ولفات بين الأزقة الضيقة للسيد العيد ومن معه رأى " **جثث القتلى في كل مكان... حتى الحيوانات لم تسلم من همجية هؤلاء المجرمون... هناك على عتبة البيت عالية قليلا... الباب الخشبي السميك مفتوح جثث عائلة بأكملها داخله... صرخات الجرحى وهتافات الجلادين تجمد دماء الأبرياء... أصبحت ساحة الكاردينال لافيجري وما حولها ساحة صيد الأهالي يمثلون فيها الطريدة... التهمة أنهم ولدو في هذه المدينة وبأنهم كائنات... حشرات في عيون القتلة، صراصير يجب سحقها**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، الصفحات 153-154)، ويتسع المشهد هنا ليكشف أن العنف أصبح شاملا، تنتشر الجثث في كل مكان، ولا ينجو منه حتى الحيوان، هذا الاتساع في دائرة الضحايا يبرز لنا أن ما يحدث تدمير شامل لكل ما هو حي وتتجلى خطورة الوضع في فقدان أي تمييز بين الأفراد، فالميكانيكي الألماني الذي ذكره الكاتب لم يسلم من الرصاص، رغم أنه لم ينتمي إلى الفئة المستهدفة، وهذا يبين آلة العنف التي أصبحت عمياء لا ترى، ولا تفرق بين الصديق والعدو، فهي تعمل بمنطق إطلاق النار، وهذا الانفلات خطر على البشرية.

وفي آخر تمت مطاردة بولخراص من قبل جماعة من الجنود " **المسكين يجري في كل الاتجاهات... وما إن قطع نصف المسافة المتبقية لإدراك الضفة الأخرى من الشارع، حتى أدركته سيارة الجيب فخبطته... وسقط... لما رأى صدره يهتز أفرغ فيه رشاشه بدم بارد... كأن لا شيء أفضل لديهم لقتل الوقت من الدم في هذه الساعة من الوقت... إنها العدالة في شريعتهم... هي الإسلام الذي يطلق على الجرائم خارج نطاق القانون... ولها ميزة أن تبدو متحضرة**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 155)، ويبلغ هذا المشهد ذروته حين يتم تقديم القتل وكأنه فعل عادي يُمارس لملء الفراغ، وهذا انحراف خطير عن القوانين والمعايير، حيث تتحول حياة الانسان إلى وسيلة للتسلية، فمطاردة بولخراص ثم صدمه بسيارة الجيب وإطلاق النار عليه بدم بارد يدل على أن العنف مقصود ومخطط له.

كما أن مصطلح "العدالة" يتم استخدامه لتغطية أفعال عنيفة فيظهر القتل وكأنه إجراء مشروع، لكنه في الحقيقة اعتداء خارج الإنسانية. هذا يجعل الجريمة تبدو متحضرة رغم أنها عنف صريح. وكشف الكاتب لهذه الحقيقة مؤكدًا أنها شكل من أشكال القمع الذي يمارس بغطاء.

حتى الأطفال لم يسلموا من همجيتهم كما سبق وذكرنا، فهذا " **طفل لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر كان بصحبة والده الذي أراده الهمجيون قتيلا... فمن هول ما رأى راح يركض بعيدًا عن جثة والده، طارده عدد من الجنود... فجأة وجد آخرين يقفون في طريقه، قبضوا عليه... أعادوه إلى الحاجز... راحوا يضربونه ويركلونه ولما حاول الإفلات، انقضوا عليه أعقاب بنادقهم وظلوا يضربونه عللا رأسه حتى انفجرت جمجمته كبطيخة سقطت على الأرض... عندما تنكسر الجمجمة يكون لها صدى ليس كأي صدى**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 156).

يبلغ هذا المشهد درجة قصوى من سياسة القمع حين يمتد العنف إلى طفل لم يتجاوز الثانية عشر، فنفهم أن هذه السياسة لا تقوم على مواجهة طرف مقاوم، فهي تقوم على استهداف

كل من يوجد في المجال دون تمييز أو تفريق بين القوي والضعيف، فالطفل بعد أن يشهد مقتل والده، يحاول الهروب لكن هذا الهروب يواجهونه بالحصار والمطاردة، وكأنه فريسة أو حيوان، فالقمع يتمثل في القضاء لا على السيطرة وحدها.

يتضح العنف بصورته، حين يبدأ بالقبض عليه وضربه، وتحطيم جمجمته بالبنادق، ليدل على أن العنف وعي وإصرار لديهم، كما أن هذه الصورة تكشف لنا أن سياسة القمع تقوم على بث الرعب داخل المجتمع، لأن قتل الطفل أمام هذا الملأ هو ليس لإنهاء حياته فحسب، وإنما لإرسال رسالة مفادها أن لا أحد في مأمن، وأن الجميع مُعرض للخطر، ولنفس المصير الذي آل إليه البريء، وبهذا لا يكون القمع وسيلة لترسيخ الخوف في نفوس الشعب.

وفي حادثة قتل مسعود، اعتقدت أمه أنه ينظر إليها، غير أنه كان ميتًا ولم يتم قفل عينيه، بل ظلتا مفتوحتين فظلت تبكي وتتلمَّس دماءه حتى نهرها الجندي وأبعدها، و" **دفن القتلى في مقبرة جماعية شعبة التركي قريبًا من لوطاية، كانت عبارة عن بئر بعرض حوالي متر وعمق ثلاثة إلى أربعة أمتار. أفرغت الشاحنات حمولتها داخله، كان هناك ضباط شرطة يطلقون بأسلحة رشاشة النار على الجثث من حافة البئر، للتأكد من وفاتها، كما أفظع مشهد يمكن رؤيته ربما يكون هناك جرحى دفنوا أحياء تحت وطأة الجثث، دون أن يتلقوا ما يسمى بطلقة نار**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 167).

هذا المقطع يمثل مستوى شديدًا من سياسة القمع الاستعمارية، في بعدها النهائي: الإبادة ثم محو أثرهم، حيث لا يتوقف العنف عند القتل، ويمتد إلى ما بعد الموت ليشمل طريقة التخلص من الجثث وإخفاء الجريمة. فدفن الضحايا في مقبرة جماعية داخل بئر ضيق وعميق جدًا يدل على تعاملهم مع الانسان وكأنه شيء يتم رميُه وتكديسه كالنفايات –أكرمنا الله–وليس كجسد له كرامة حتى بعد الموت.

ويشتد القمع مع إطلاق النار داخل البئر للتأكد من وفاة الجثث، وهذا عنف مفرط يتجاوز حتى القتل، كما نلاحظ أن احتمال دفن جرحى أحياء تحت الجثث المكدَّسة هو أكثر قساوة. لتتحول بسكرة بعد ذلك إلى مكان خالٍ من الناس، لا توجد فيه حياةً طبيعية، بل تسودها الأشباح والجنود والقناصين، وحوَّل المكان إلى جثث، وإلى مساحة يعمها الرعب المتواصل والدائم، وهذا القمع يستهدف الذاكرة، والمدينة وكذلك الهوية.

وطمس الحقيقة بإخفاء عدد القتلى، والصمت الإعلامي، وعدم الحديث عن المجازر يدل على أنَّ القمع لا يكتمل إلا بإخفاء هذا الآثار وهذه الوفيات وعدم الحيث عنها، ومنع توثيقها، فالنص الروائي بذلك يمثل وسيلة لاستعادة ومواجهة الصمت الذي كان مفروضًا.

2- سردية المقاومة في الرواية:

تعد سردية الرواية من أهم الآليات السردية التي يعتمدها الأدب الروائي في سياق تصوير الصراع الاستعماري، وذلك من خلال توثيق العنف وعرض الأحداث التاريخية وبناء نص سردي يكشف للجميع آليات القمع وطرقه وأنواعه، ويفكك بنيته الأيديولوجية. فالرواية تعيد الواقع المعاش من خلال رؤية الكاتب النقدية التي تبرز التناقض بين الخطاب الاستعماري وممارساته، وتعطي الضحايا صوتًا عن طريق توثيق معاناتهم.

وفي رواية "قداس الكاردينال" للروائي سليم بتقة تبنى ما يُعرف بأدب المقاومة وكتب روايته في هذا النوع من الأدب، وجعل من المقاومة سردًا يطغى على عمله الروائي، ومن المقاطع الدالة على ذلك مواجهة أم مسعود للضابط عندما وقف في مواجهتها، وأمرها أن تقص عليه قصة أخيها الفار الذي آوته، عندما رفضت ذلك صفعها صفعة قوية على وجهها وسقطت أرضًا، " **أخرجت منجلا لا يعرف من أين أتت به... قبض بحركة سريعة على معصمها... قاومته... سقط المنجل من يدها... غرست أظافرها في وجهه وهي تلهث... أحس بلزوجة الدم الدافئ وهو ينبثق من جروح وجهه... أخذ السلاح وبمقبضه الخشبي وراح يضربها**

على رأسها، وعلى كتفها وظل يضرب حتى أغمي عليها... كانت قد قاربت آنذاك على الهلاك" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 86).

فهو يسرد كيف قاومت الأم عنف الضابط، وكيف واجهته بقوة عندما خدشت وجهه، هذه اللحظة تمثل ذروة المقاومة، لأنها رفضت الإهانة رغم اختلال القوة، ورغم أنها لوحدها إلا أنها أبت الخضوع والاذلال أمام العدو، وأكدت أن الجسد وسيلة للمقاومة حين تُغلق الخيارات الأخرى، وأن المنجل أداة بسيطة أبرزت طبيعة المقاومة في الرواية، فهي تنبع من الدفاع عن الكرامة حين تُغلق كل سُبل النجاة.

وفي النهاية، حتى وإن انتهى المشهد بتعرضها للضرب والاغماء، فإن السرد لا يقدمها منهزمة لأنها واجهت لحظة القمع بالفعل لا بالصمت فقط.

وفي لحظة مقاومة أخرى " **دخل العيد في موقف دفاعي ورفع قبضته... كان يلهث مثل حيوان مطارد... أحاط به الجنود الثلاثة دون أن يتركوه له مهربًا... كانت الثواني التي بقوا فيها هذا الموقف كافية للعيد لتقييم الفرص التي بقيت له... قفز فجأة على أحدهم الذي كان يتقدمهم، وضربه بلكمة على وجهه واستمر في الركض بعيدًا**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 133)، يصوِّر لنا سليم بتقة مقاومة العيد لموقف حدث له، عندما حاضرته السلطات المسلحة، فالشخصية هنا لا تستسلم رغم حالة الحصار، ويحاول البحث عن فرصة للخلاص عبر التفكير السريع ورد الفعل المباشر.

كما أنَّ الانفجار بالهجوم المفاجئ هو ما يمثل ذروة المقاومة، فالفعل هنا يهدف إلى التمرد ورفض سياسة العدو، حتى وإن كان ذلك قصيرًا، وذلك ما ينسجم مع طبيعة أدب المقاومة الذي يركز على لحظات الرفض والمواجهة حتى في أصعب الظروف.

شكل الهروب امتداد لفعل المقاومة، فالموقف لم ينته بالهزيمة وإنما اكتمل بالتحرر من قبضة العدو القوية، ولا يقتصر سردية المقاومة في الرواية على المواجهة المباشرة، هي تمتد

إلى كشف الخطاب الاستعماري نفسه، وذلك في قول مونسيور لِكْلِير" **نحن كما ترين، نواجه صراعًا من أجل البقاء على هذه الأرض المباركة... هذه المعركة هي قانون الطبيعة... حيث لا مكان فيه للضعفاء الكفرة وحدهم فقط الأقوياء من يظلوا صالحين للتكاثر... من أجل الفوز في هذه المعركة، يجب الحفاظ على نقاء الدم المسيحي الفرنسي**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 172)، يتم تبرير العنف في هذا القول باسم "قانون الطبيعة"، ضرورة بقاء الأقوى، مع التأكيد على فكرة "نقاء الدم المسيحي الفرنسي"، هذا الخطاب يبدو منطقيًا وجميلاً، لكنه في حقيقته يكشف عن العنصرية التي تنفي الآخر الأصليين كضعفاء لا مكان لهم في هذا العالم. غير أن الرواية لا تُقدم هذا الكلام لأنه حقيقة لا بد من تقبلها، هي على عكس ذلك تضعه في سياق يكشف التناقض مع الواقع المليء بالمجازر والقتل والتعذيب والتنكيل.

فهذا الخطاب دليل إدانة ضدهم، أي ضد الفرنسيين، فالسرد في هذا الحال يمثل أداة لفضح الفكر الاستعماري وتعريته، حيث يقدمه في صورته الصريحة دون تزييف، فيدرك القارئ ويَعِي بشاعته وزيفه الأخلاقي.

3- بلاغة المقاومة من خلال أسماء الشخصيات والأماكن:

تساهم الشخصيات والأماكن في بناء دلالات تكشف طبيعة الصراع بين المستعمِر والمستعمَر، فاختيار الأسماء والأماكن يحمل الهوية والانتماء في طياته، ويبرز تناقض عالمين: عالم مرتبط بالأرض، وآخر وافد يسعى للهيمنة والسيطرة والقمع.

3-1- من خلال الشخصيات:

تمثل الشخصية عنصرًا محوريًا في كل سرد، بحيث لا يمكننا تصور رواية بدون شخوص، كونها عنصر فعال يقوم عليه البناء السردي، فهي "إحدى المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، لمكونها تمثل العنصر الفعَّال الذي ينجز الأفعال التي تمتد وتترابط في مسار

الحكاية، ومن أجل أن تقوم الشخصية بإملاء اللحظة المركزية المستندة إليها تأليفا، وتفهم الواقع وتمتلئ بروح الحياة، يعمل الروائي على بناءها بناء متميزًا، محاولا أن يُجسد عبرها أكبر قدر ممكن من تجليات الحياة الاجتماعية" (مرشد، 2005م، صفحة 33).

بمعنى أنها تمثل المحور الذي تدور حوله الأحداث، فهي التي تقوم بالأفعال داخل النص الروائي، أو تتعرض لها، وبالتالي فهي التي تحرك مسار السرد وتجعله يتطور، بمعنى أن الرواية لا يمكن أن تقوم بدون شخصيات، لأنها الوسيط تُنقل من خلاله الوقائع والأفكار.

إضافة إلى أن عنصر ثابت يعمل الروائي على بنائها بعناية، وفي أدب المقاومة تمثل الشخصية العنصر المقاوم داخل النص، حيث يبرز من خلالها الكاتب المقاومة والمواجهة التي يتبناها الشعب المستعمَر، في الدفاع عن نفسه وكرامته وأرضه ودمه وكل ما يخص بلاده ونفسه.

وفي رواية "قداس الكاردينال" لسليم بتقة استخدم الكاتب العديد من الشخصيات التي تعرضت لسياسة القمع الاستعمارية، والتي من خلالها استطاع أن يبين لنا أن المقاومة والمواجهة في ظل القمع الحتمي أمر لا يتقنه الجميع، فالشعب المستعمَر لا بد من المقاومة لكي لا يُحرم من ذاته ولا يجرد من أرضه، فالسلطات الفرنسية دائما ما تحاول إذلال الشعب الجزائري واحتقاره ومقابلته بالتعذيب والوعيد.

وفي الرواية التي بين أيدينا تم توظيف العديد من الشخصيات بهدف كشف القمع والعنف الذي مارسه الاستعمار اتجاه المستعمَر ومن هذه الشخصيات نذكر:

- **السيد دانيال:** وهو من بين أهم الشخصيات الرئيسية في الرواية، لأنه أخذ أماكن عدَّة في السرد وفي الأحداث الواقعة في النص، وهو شخص يعمل مديرًا للمشتريات في فندق روايال الذي تزخر به مدينة بسكرة، يقطن بالقرب من دائرة عسكرية رفقة زوجته كوليت، مواطن عادي يسعى إلى الراحة والأمان والعيش في سلام، وظفه الكاتب سليم بتقة

لتبطيء السرد، بمعنى أنه سرد الأحداث القمعية على لسانه، حيث يسرد دانيال ما حكاه له الضباط عن القمع الذي كانوا يفعلونه بالأبرياء، ويسرد ما وقع أمام أنظاره وهو صغيرًا، ويسرد حوادث العنف والتعذيب والقسوة.

فمن خلال هذه الشخصية كشف لنا سليم بتقة همجية الاستعمار وحقيقة ما كانوا يفعلونه بالنساء والأطفال والشيوخ بدم بارد، واستمتاع وضحك وراء كل قمع يفعلونه ويمارسونه.

فالسيد دانيال حضر العديد من المشاهد القمعية التي قامت بها السلطات الفرنسية، ومن ذلك قول الكاتب: " **أسرع السيد دانيال أمام هول ما رأى إلى الحمام، ركع على ركبته وأدخل إصبع السبابة بعمق في حلقه، شعر بمحتويات معدته ترتفع وتتدفق من خلال فمه المفتوح، امتلأت عيناه بالدموع، لم يستطع أن يقوم باستقامة، ظل صوت الرصاص يلاحقه**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 157)، فالشخصية هنا تتفاعل مع الوضع بشكل يرفض العنف والقمع، فالمشهد يكشف أن العنف يُقدِّم كصدمة لا يمكن احتمالها، وهو ما يجعل جسده نفسه وسيلة تعبير عن الرفض.

- **مسعود:** وهو من الشخصيات المحورية التي عانت في النص، وهو شخص يقطن مع أسرته الصغيرة وأمه في بيت طيني ورثه أبيه، صور من خلاله سليم بتقة مقاومة الفرد عند حدوث القمع الحتمي، حيث نجد شخصية مسعود عانت كثيرًا من التعذيب، فهو واجه الفرنسيين في العديد من أحداث الرواية، وحاول الهروب من شباكهم، وقاوم مرات عدة السلطات الفرنسية وفرَّ منهم عن طريق المواجهة، إلى حين حدثت مجازر كبير في البلاد، فحاول المساعدة ليأتي نصيبه، وينتهي به الحال بالموت، فاتحًا عينيه، حيث جرت الأحداث ومات على يد ضابط فرنسي، حاول الفرار منه لكن الرصاص كان له كلاما آخر، لتبكي أمه بعد ذلك وتحمله في حجرها وتنهار.

هذه الشخصية أعطت لنا مغزى، وهو أنَّ الاستسلام ليس من شيم الأقوياء، وأن التضحية في سبيل الوطن بالنفس والنفيس واجب، فلا يترك الوطن للأعداء إلا عن طريق دماء أبنائه، وأن المقاومة واجب.

- **العيد:** وهو شخصية بارزة في النص الروائي، صاحب مسعود، وظفّه سليم بتقة كشخصية تسمع لما يرويه مسعود عن الحروبات والقمع الذي يحدث. لتتطور الأحداث ويصبح جزءًا منها، حتى أنه قاوم الجنود والعسكر الفرنسيين وواجههم بكل روح قوية، دون أن يفكر في أن لديه زوجة تنتظره في المنزل، وهو على دراية على العنف الذي يحدث، بحكم أنَّ مسعود سرد له كل شيء.

وشخصية العيد في الرواية هي شخصية بلا عمل، في بلد الاستعمار، وبحكم أن أباه كان يساعد فرنسا قديمًا حاول أن يستغل ذلك ليجد عملا هناك، إلا أن الموظف قابله بالرفض والكلام الجارح الذي جعل العيد يرد عليه بنفس القسوة ويغادر المكان، ليثب له كرامة الشعب فوق الماديّات، ولا نسمح بمسحها ولا بإلغائها مهما بلغت الصِعاب.

- **تويتو:** وهو شخصية تسكن " **في حارة اليهود رفقة زوجته بابيشكا وولديه ريمون وميلادة، حيث البيوت المتلاصقة، بأبوابها الصغيرة تفرض الانحناء حين دخولها**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 46)، حيث يعمل في تجارة الخمور مع عائلته إضافة إلى تجارة التمور، فهو يمثل "الرجل الأول" لألبير كامو في ولاية بسكرة، وذلك لحنكته ودهائه وخبرة السنين التي قضاها في فرنسا، قبل عودته إلى الجزائر.

تمثل هذه الشخصية المقاومة الفكرية والعملية، وروح العمل الذي نجده في نفوس الضحايا، رغم القمع والعنف الذي يحيط بهم، فهو مثال عل المقاومة ورفض الاستسلام.

- **بولخراص:** وهو شخصية وردت كثيرا في الرواية، تمت تسميته بهذا الاسم من قِبل سي بوبكر لأنه يشبه براسبوتين الذي قرأ عنه في تاريخ روسيا القيصرية. لا يخاف من قمع

الاستعمار ولا من تهديداته، حيث كان " **حين تمر طائرات الهليكوبتر، وهي تحلق فوق المدينة ويتصاعد أزيزها البطيء، وترتفع الوجوه إليها خائفة وجلة، يقف متطلعًا غير هائب، لا يعكر راحته غير الهواء القريب، ولا يقلقه شيء، وهو الذي يدرك قيمة الحياة والموت يبصق حينما يرى العلم الفرنسي يرفرف فوق عمود يبصق... وحين يظهر له رئيس البلدية من بعيد قال: كلاب، ثم يبصق**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 63)، هذه الشجاعة وهذه القوة جعلته يقاوم ويواجه أي خطر يحل به، فكان المثل الأعلى للناس في مدينة بسكرة، بسبب الخوف المنعدم في قلبه.

عاشت بولخراص شخصية أحداثًا ووقائع في الروية، دلَّت على قوة المستعمَر، وعلى أنه قادر على المواجهة تحت ظروف القسوة.

- **السي بو بكر:** ويقال له لاختصار "سي بكر"، وهو "**رجل مثقف أمضى فترة ليست بالقصيرة في تصليح الساعات في وسط المدينة، حرفة أخذها عن والده في محل صغير ينزي في الأقواس المحيطة بالسوق المغطى... يتباهى أمام الناس أنه تولى إصلاح ساعات شخصيات مهمة في عالم الفن والسياسة كشارلتون هستون، وأندري جيد...**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 71)، وهذه الشخصية كانت دائمة الحديث عن السياسة مع شخصيات ثانوية في الرواية، حيث كان دائم الانصات للإذاعة وللأخبار، وعلى دراية على كل ما يحصل، رجل قلوم عن طري عقله، وواجه الاستعمار عن طريق تفكيره البعيد.

- **مختار:** وهو شخص متزوج من امرأة، سئمت من أفعاله، لأنه دائما ما يرجع من العمل ليلاً ورائحته كلها خمر، لا ينفع عائلته في شيء، لكن عندما تعلّق الأمر ببلده وكرامته واجه الأعداء دون تفكير في الأمر، حيث ظل يقاوم في عدة وقائع من الرواية.

- **موسى:** شخصية كانت تعمل مع الضباط الفرنسيين، الذين تبنوا القمع والعنف ضد المدنيين، وظفه سليم بتقة لكي يسرد ويعبر عن القسوة التي كان يعيشها الأبرياء، حيث كان موسى يرى كل أشكال التعذيب التي تحل بهؤلاء الأشخاص، ولا يحرك ساكنًا، لأن الضابط المسؤول كان قمعيًا بالدرجة الأولى، لكن موسى لم يكن مثلهم ولا يطيع أوامرهم التي تتمثل في قتل الأطفال، يقول: " **لا لست بهذه القسوة**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 101)، فهو كان دائم الصلاة يوم الجمعة مع الأهالي، ويرفض كل أشكال القمع، بل ويريد كل ما يتعلق بالطبيعة والطيور والسكينة، لأنه كان شخصًا رافضًا للعنف.

3-2 من خلال الأماكن:

تعد الأماكن مكوّنا محوريًا في السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فالمكان هو" مجموعة من الأشياء المتجانسة (من المظاهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة...)، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية (مثل الاتصال، المسافة...)" (بوعزة، 2010م، صفحة 99)، بمعنى أن المكان في النص الروائي هو مجموعة من العناصر المتنوعة التي ترتبط فيما بينها بعلاقات تشبه العلاقات المكانية في الواقع، مثل القرب والبعد والاتصال.

وفي هذا الفضاء تتشكل الأحداث، كما تشكلت من خلاله أحداث في رواية "قداس الكاردينال" التي دلت أمكنته على المقاومة والقمع في ذات الوقت.

- **بسكرة:** وهي الفضاء الحي الذي كان له حضور واضح وقوي في بناء الأحداث والشخصيات، حيث تتميز بكونها ذات طابع شعبي، وصفها الروائي بحلة جميلة، بطبيعتها الخلابة وأناسها الطيبين وأحياءها العالقة في الذاكرة، حيث ترتبط بها الشخصيات ارتباطًا وثيقًا لأنها مكان انتمائهم.

وتقدّم مدينة بسكرة باعتبارها فضاءً يحمل ذاكرة أليمة مرتبطة بالعنف والمجازر، حيث تظهر كمدينة شهدت أحداثًا دامية تركت أثرًا في الذاكرة الجماعية ولا زالت، الوطن والمكان الذي يأوي الكثيرون، فالمكان في حد ذاته شهد صراعات وسياسة قمع مفرطة، وقاوم ذلك، فحضور المجازر فيها يربطها بفترة القمع والاستعمار والعنف السياسي، فهي رمز معاناة الانسان من جهة، ورمز المقاومة والنضال من جهة أخرى، لأن أصحابها واجهوا الاستعمار بدمهم وقاوموا من أجل أرضها، وبالتالي فبسكرة مكان اختزان الأحداث العنيفة.

- **فرنسا:** وهي مكان مضاد لبسكرة، وفضاء سلطوي بامتياز، ورمزًا لسياسة الاستعمار الظالم، فالكاتب يظهرها كمكان للهمج، للقتل، وللقمع، تتحكم في مصير الشخصيات وتؤثر في حياتهم بشكل مباشر أو غير مباشر.

كما تظهر فرنسا من خلال الإدارة الاستعمارية التي تتعامل مع الأفراد بطريقة بيروقراطية باردة، حيث يتم تقييم الانسان حسب انتمائه وبطاقة هويته وفائدته، وليس على حسب انسانيته، لأن حكَّامها مُجرَّدون من ذلك.

ومن جهة أخرى، فإن فرنسا في العمل الروائي مثّلت مرجعية للسلطة والقوة العسكرية، لأنها ارتبطت بالقمع والانتقام والسيطرة على المجال بعامة، سواء كان ذلك عبر الجيش أو عبر الأجهزة الإدارية، فهي ببساطة تمثل الطرف المسيطر في مقابل الطرف المقاوم (بسكرة).

- **قسنطينة:** تُذكر قسنطينة في سياق العمليات العسكرية والانتقامية، حيث شهدت هي الأخرى أحداث العنف والصراع، التي تعكس المواجهة بين القوى العسكرية والمدنيين المقاومين لذلك، فكانت فنادقها تحتوي على شخصيات الرواية، وكانت هي الأخرى تحتوي على الفرنسيين، فبين هذا وذاك صراع قائم على سياسة القمع والقسوة والعنف.

- **فندق براتون:** يقدم الكاتب فندق براتون على أنه فضاء سياحي موجه للفرنسيين والأوروبيين، فهو مكان للاستقبال والخدمات الفندقية والراحة، فهو بذلك يكون فضاءً

مرتبطًا بالاستعمار والتواجد الأوروبي، لأنه يخدمهم وهذا يكشف التمييز في الاستفادة من المكان. نفهم من ذلك أن فرنسا استولت على أماكن جزائرية وأصبحت تتنزه بأريحية فيها.

وتتجلى بلاغة المقاومة في هذا المكان في فضح وكشف آلية التمييز الاستعماري، حيث يُظهر لنا كيف نشأ أماكن مريحة ومجهزة لفئة المستعمرين في مقابل تهميش السكان المحليين وعدم حضورهم في هذا المكان. وبالتالي، يصبح المكان نفسه أداة لفضح الاستعمار وبنيته القائمة على السيطرة والهيمنة.

- **فندق رويال:** وهو فندق ومكان وقعت في الكثير من الأحداث والحوارات، باعتباره أفخم الفنادق في بسكرة " **فهو نسخة طبق الأصل من هندسة معمارية موريسكية يقع على الطريق المؤدي إلى تقرت وبمحاذاة دار الضياف**" (بتقة، قداس الكاردينال، 2022م، صفحة 8)، يوجه هذا الفندق للفرنسيين والأوروبيين.

خـــــاتمة

خاتمة:

من خلال سيرورة البحث المعنون بـ " **أدب المقاومة في رواية قداس الكاردينال لسليم بتقة أنموذجا**"، توصلنا إلى جملة من النتائج:

- أدب المقاومة هو أدب انساني يعبر عن المجتمعات التي تعاني من ظلم الاستعمار أو عانت منه كالجزائر.
- يُسْهِم الأدب المقاوم بشكل كبير في زرع وزيادة الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي للمجتمعات والشعوب كونه يكشف سياسة القمع الاستعمارية من خلال الأعمال الروائية.
- تُجسد الرواية المقاومة تجربة الظلم والهيمنة ومعاناة الشعوب، من خلال تصوير القهر والمعاناة بمختلف الأشكال، وإبراز الصمود والدفاع عن الهوية والحرية ومواجهة القمع والظلم.
- يتضح أن أدب المقاومة يرتبط بالواقع النضالي، ويعبر عن معاناة الانسان تحت القهر، كما يركز على قيم الصمود والتشبث بالهوية والحرية.
- يعتمد الأدب المقاوم على لغة حماسية مشحونة بالانفعال، والرموز التي تعكس روح المقاومة.
- ارتبط الأدب المقاوم بمختلف أشكال الصراع التي عرفتها الشعوب ضد الاحتلال والهيمنة. وتبلور بشكل أوضح في العصر الحديث خاصة مع القضايا الوطنية والقومية ليعبر عن الوعي الجماعي.
- كشفت رواية "قداس الكاردينال" عن قسوة الاستعمار الفرنسي، وقمعه اتجاه الشعب الجزائري ومواجهة هذا الأخير له.
- استطاعت الرواية أن تعكس ما عاشه الشعب الجزائري في فترة الاستعمار وخاصة في مدينة بسكرة أيام الأحد الأسود من عام 1956م، من قمع وعنف وظلم واستبداد.

- صورت الرواية حجم المعاناة، في مقابل ذلك مقاومة الشعب الجزائري ومواجهته لسياسة القمع الاستعمارية التي أهلكت الأبرياء، ولم تفرق بين الأطفال والنساء والشيوخ.

- قدمت لنا الرواية صورة الفرد المقاوم الثائر الذي يدافع عن وطنه وكرامته ويرفض الإهانة والظلم.

- تنوعت الرواية عن همجية السلطات الفرنسية وطرق تعذيبهم للشعب الجزائري، وعن أفعالهم اللاإنسانية اتجاههم.

- تنوعت اللغة في النص بين الفصحى والعامية والفرنسية، لكي يعطي النص دقة وجمالية، وإضفاء الواقعية، واللغة الفرنسية عكست الأثر الاستعماري وتعدد المرجعيات داخل النص.

- عكست الرواية خيال الروائي وإبداعه اللامتناهي في وصف الشخصيات التي حركت خطين متوازيين: شخصيات حقيقية تخييلية وشخصيات من نسج الخيال.

- أحسن الروائي في توظيف متنوع للغات (فرنسية، عربية، عامية...)، لكي يجعل القارئ يتخيل المشهد، ويعيش اللحظة بعقله وقلبه وكيانه.

- يبرز الروائي وعي الشعب الجزائري في تلك الفترة، وقوته في المواجهة والمقاومة رغم الأبواب المسدودة في طريقه ورفضه للإهانة وعزته بنفسه.

- الاستشهاد من قبل الأبرياء هو الخيار الأمثل، كونه يحافظ على الكرامة والعزة، من جهة، واسترداد الوطن من مغتصبيه من جهة.

- المقاومة عند الشعب الجزائري هي وليدة عقيدة جهادية، وليس رغبة في العنف، إنما هي لدفع الأذى عن نفسهم وعن وطنهم الحبيب.

وفي الأخير، يظل هذا الموضوع قابلاً لمزيد من الدراسات المستقبلية التي قد تكشف عن أبعاد جديدة، تُوسع آفاق القراءة النقدية للنص الأدبي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-سليم بتقة، قداس الكاردينال، دار الخيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، دط، 2022م.

2-إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، معجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط5، 2011م.

3-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، ج1، دس.

4-حسام الضيقة، الرواية المقاومة-دراسة في الإنتاج الروائي-، سلسلة المؤتمرات والندوات الفكرية، مج5، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط1، تشرين الأول 2005م/ 1426م.

5-حسين جمعة، ملامح في الأدب المقاوم -فلسطين أنموذجا-دراسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2009م.

6-سليم بتقة، جائزة كتارا للرواية العربية https://kataranovels.com/novelist

7-سمير سعيد حجازي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

8-صالح أبو أصبع، ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، منشورات جامعة فيلادلفيا، مطبعة الخط العربي، ج2، 2005م.

9-عادل الأسطة، أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، مؤسسة فلسطين للثقافة، سورية، دمشق، ط2، 1429هـ/2008م.

10- عبد الحميد ختالة، بين سلطة التاريخ الثوري للجزائر وهيمنة الحكي في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر للروائي عز الدين جلاوجي، مجلة الموروث، ع2، خنشلة، الجزائر، 2013م.

11- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

12- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، شعبان 1998م.

13- غسان الكنفاني، لأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1984-1986م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.

14- محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

15- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

16- هبة إبراهيم علي شقيرات، مستوى معرفة طلبة جامعة القدس بالأدب الفلسطيني المقاوم وعلاقته باتجاهاتهم نحوه، رسالة ماجستير، إشراف: د/ عفيف حافظ زيدان، عمادة الدراسات العليا، جامعة القدس، 2011م.

17- هدى بوحوش، التسريد التاريخي، الانتقال من أرشيف التاريخ إلى سلطة السرد، قراءة في رواية قداس الكاردينال لسليم بتقة، المجلة الدولية للتعليم الخاص في مرحلة الطفولة المبكرة، قسنطينة، الجزائر، 2024م.

18- وذناني بوداود، صدى ثورة التحرير في الرواية الجزائرية، بعث الوعي الوطني وتفصيل المشاهد، فعاليات يوم دراسي، كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، 2018م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان.....

إهداء.....

مقدمة: .....أ

الفصل الأول: أدب المقاومة: مفاهيم ومصطلحات

تمهيد: 4

1- مفهوم أدب المقاومة: 4

1-1 مفهوم المقاومة: 4

لغة: 4

اصطلاحًا: 5

1-2 مفهوم أدب المقاومة: 6

2- حدّ الرواية المقاومة: 8

3- سمات أدب المقاومة: 10

4- الرواية الجزائرية والمقاومة: 13

5- الروائي "سليم بتقة": 18

5-1 نبذة عن الروائي سليم بتقة: 18

أ- الدراسات الأكاديمية: 19

ب- الأعمال الأدبية: 19

5-2 ملخص رواية "قداس الكاردينال" للمؤلف سليم بتقة: 20

الفصل الثاني: تجليات المقاومة في رواية قداس الكاردينال لسليم بتقة

1- فعل المقاومة وسياسة القمع في الرواية: 23

2- سردية المقاومة في الرواية: 38

3- بلاغة المقاومة من خلال أسماء الشخصيات والأماكن: 40

3-1- من خلال الشخصيات: 40

3-2 من خلال الأماكن: 45

خاتمة: 49

قائمة المصادر والمراجع 52

فهرس المحتويات: 56

ملخص: 58

ملخص:

عرفت الرواية العربية الحديثة اهتمامًا متزايدًا بالقضايا ذات البعد الإنساني والاجتماعي، ومن أبرزها قضية المقاومة بوصفها فعلا وجوديًا وفكريًا وجماليًا، وفي هذا السياق جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: "**أدب المقاومة في رواية قداس الكاردينال لسليم بتقة**"، التي تهدف إلى الكشف عن تجليات المقاومة في الرواية محل الدراسة، وتحليل أبعاده الفكرية والجمالية داخل البناء السردي.

وقد قُسم البحث إلى فصلين، جاء الفصل الأول نظريًا بعنوان " **أدب المقاومة: مفاهيم ومصطلحات**"، تناولنا فيه مفهوم أدب المقاومة والرواية وسماتها، إضافة إلى إبراز علاقة الرواية الجزائرية بالمقاومة، مع تقديم نبذة عن الكاتب وملخص الرواية.

أما الفصل الثاني فهو تطبيقي معنون بـ: " **تجليات المقاومة في رواية قداس الكادردينال لسليم بتقة**"، خُصص لدراسة مظاهر المقاومة في الرواية، من خلال رصد تمثلاتها وتحليل فعل المقاومة والوقوف على بلاغته.

وعليه، فقد خلصت هذه الدراسة إلى إبراز حضور أدب المقاومة في الراية وبيان كيفية توظيفه فنيًا وجماليًا في الخطاب السردي.

Abstract:

Modern Arabic fiction has shown increasing interest in issues with humanistic and social dimensions, among the most prominent of which is the issue of resistance as an existential, intellectual, and aesthetic act. Within this context comes the present study entitled: *"Resistance Literature in the Novel* Cardinal's Mass *by Salim Batqa"*, which aims to reveal the manifestations of resistance in the novel under study and analyze its intellectual and aesthetic dimensions within the narrative structure.

The research was divided into two chapters. The first chapter is theoretical and entitled *"Resistance Literature: Concepts and Terminology."* In this chapter, we addressed the concept of resistance literature, the novel and its characteristics, in addition to highlighting the relationship between the Algerian novel and resistance, while also presenting a brief overview of the writer and a summary of the novel.

As for the second chapter, it is practical and entitled *"Manifestations of Resistance in the Novel* Cardinal's Mass *by Salim Batqa."* It was devoted to studying the forms of resistance in the novel through tracing its representations, analyzing the act of resistance, and examining its rhetoric and expressive power.

Accordingly, this study concluded by highlighting the presence of resistance literature in the novel and demonstrating how it was employed artistically and aesthetically within the discourse.